# الرواية

## مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر و فى نصفه


صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

صـ
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٤٢ — ٢٢ شعبان سنة ١٣٥٧ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨ — السنة الثانية

## فهرس العـــدد


| صفحة | | | |
|---|---|---|---|
| ٩٦٢ | عاشقة الأحذية ... ... ... | أقصوصة مصرية .. ... ... ... | بقلم الأستاذ محمود بك خيرت . ... |
| ٩٦٧ | معركة على عروس .... ... | للكاتب الفرنسى جوستاف جيفروا | بقلم الأستاذ محمد لطفى جمعة .. ... |
| ٩٧٨ | التكافؤ في الزواج ... ... | مترجمة عن الانجليزية ... ... ... | بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار ... |
| ٩٨٥ | النـــار المقدسة .. ... ... | للكاتب الانجليزى والتر سكوت . | بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ... |
| ٩٩٠ | الثلاثة الزاهدون .. ... ... | للفيلسوف الروسى ليوتو لستوى .. | بقلم السيد فخرى شهاب السعيدى .. |
| ٩٩٥ | تحت ظــلال الشجر .. ... | للكاتب الانجليزي فرنسيس بيج . | بقلم الأستاذ فؤاد الطوخى ... ... |
| ٩٩٨ | مبتور الســاقين . ... ... | للكاتب الفرنسي جى دى موباسان | بقلم الأديب السيد كمال الحريرى .. |
| ١٠٠٢ | الفرار .. ... ... ... ... | للكاتب الانجليزى هولوى هورن. | بقلم الأديب محمود السيد شعبان .. |
| ١٠٠٧ | حاجى بابا أصفهانى . ... ... | للكاتب الانجليزى جيمز موير .. | بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار .. |

# عاشقة الأحذية

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ محمود بك خيرت

فى صباح يوم مبكر كانت سيدة محجبة تقطع طرقات الاسكندرية بخطى مسرعة وقلبها يدق وجسمها يرتجف، حتى إذا بلغت نافذة الملجأ أخذت تتلفت حولها، فلما لم تر أحداً يتعقبها أخرجت من إزارها طفلاً حديث الولادة ووضعته على الحامل المثبت عند قاعدة النافذة ثم دقت الجرس، وبعد لحظة امتدت يدان فالتقطتاه ثم اختفتا . وعند ذلك اطمأن قلبها وعادت أدراجها

وكان بالدار سيدة منطرحة فوق سريرها وعلى وجهها أثر الشحوب والضعف؛ فلما أقبلت عليها تلك السيدة المحجبة سألتها فى لهفة، فقالت: انتهى الأمر على أحسن حال وأصبح إلى جانب أطفال الملجأ . وعندئذ سرّى عنها وشعرت كأن حملا ثقيلا كان يضغط على صدرها قد ارتفع وزال

وكانت هاتان السيدتان شقيقتين من أسرة عريقة، إحداها وهى التى كانت تحمل الطفل متزوجة من أحد أعيان الاسكندرية، أما أختها فتقيم مع أبويها بالقاهرة ولم يسبق لها عهد بزواج؛ إلا أن فتى من فتيانها وقع نظره عليها فأولع بها وأخذ يطاردها ويتودّد لها وينفخ من روح غوايته فيها، وهو كلما تلاقيا يفتح أمام عينيها آفاقاً جديدة مشرقة بالحب ونعيمه . وكان يقسم لها بأنه لن تطيب له الحياة إلا بها، ولن يتزوج فى حياته من سواها، حتى إذا أفلت زمام عفتها من يدها وزلّت قدمها أدار لها ظهره وأنكرها واختفى عن عينيها

ولقد أحست بعد أشهر بجنينها يتحرك فى أحشائها فخشيت أن يفتضح أمرها وأسرعت إلى شقيقتها بحجة قضاء فصل الصيف عندها، فا كترت لها تلك الدار لتضع حملها فيها إلى أن تم الأمر على الصورة التى مرت بنا

وقد يلوح غريباً أن (إحسان) تلك الفتاة البائسة الرقيقة يهون عليها أن تقذف بهذا الطفل البرىء الضعيف وهو ثمرة حشاشتها إلى هذا المصير المجهول، وأن يتحجر قلبها إلى حد ألا تذرف عليه عيناها دمعة واحدة وهى تسلمه لأختها . ولكنها فى الواقع كانت لاتزال تحت سلطان ذلك الموقف الرهيب الذى أقل ما فيه أنه كان يجرّ عليها وعلى أسرتها عار الأبد . حتى إذا مضى شهر على بعده عنها وقد هدأت أعصابها من تأثير الجزع الذى كان استولى عليها استيقظت فى نفسها عاطفة الأمومة الصارخة فانطلقت دموعها من عينيها غزيرة حارة، وأخذت ترجع باللائمة على طيشها وتسرّعها وترى أن ذلك العار الذى خشيته كان أهون عليها من أن تعبث بطفلها مثل ذلك العبث الأثيم . ألم يك ولدها ؟ ألم يك قطعة منها ؟ لقد أصبح بينها وبينه بعد ذلك حجاب قاس، فلم يعد أمامها تغمره بنظراتها وتغذوه بحنانها وتضمه إلى صدرها الدافئ وهى تهزه بيديها

وتناجيه . لقد حُرمت لذة إرضاعه ، ولذة الاستماع إلى صياحه ، ولذة النظر إليه وهو يحبو ويمشي ، ولذة أول كلمة تخرج من بين شفتيه اللتين في حمرة المرجان : أمي !

أما هو فقد أصبح يندفع إلى غير صدرها ويرتضع غير ثدييها، وما كان المرضعات إلا أجيرات يمنن لبنهن ولكنهن لا يمنن الحنان، فاهن إلا أمهات صناعيات .

كانت إحسان لذلك لا يغمض لها جفن ولا يهنأ لها طعام ولا شراب. تمر صورته بعينيها في كل لحظة من لحظات النهار، وتراه في أحلامها كأنه يمد ساعديه الصغيرين إليها ويندفع إلى صدرها وكأنه يعاتبها . حتى إذا ما استيقظت يوماً من الأيام كان حزنها قد بلغ غايته فانطلقت نحو الملجأ وقد وطنت نفسها على أن تعود به .

وقبل أن تأخذ في سبيل ما اعتزمته حملت معها كثيراً من الحلوى والأقمشة لتتقدم بها كهدية لأطفال الملجأ ، وقد رحب بمقدمها سيداته ورجاله وتقبلوا تلك الهدية منها مع التقدير والشكر . وهكذا أخذت تطوف بالغرف وتتفقد أولئك اليتامى الذين كشر في وجوههم الحظ لعلها تعثر من بينهم على طفلها ولكنها لم توفق

ومن الطبيعي أنها كانت تتحاشى أن تبوح بالغرض الذي جاءت من أجله إلا إذا تمكنت من الاهتداء إليه ، فلما يئست أخذت تستفسر من رئيسة الملجأ عن حديثي الولادة الجدد وعن الاجراءات التي اعتاد الملجأ اتخاذها نحوهم، فهدتها إلى أربعة عشر طفلا جيء بهم في أيام مختلفة، منهم خمسة في اليوم الذي حملت أختها صغيرها إليهم فيه .

فلما تأملتهم وجدت من بينهم اثنين بشرتهما سمراء ولكنها لم تعرف ولدها من بين الثلاثة الباقين ، لأن الأطفال على أثر ولادتهم يكونون أشبه بقطع حية من اللحم يصعب تمييز بعضها عن بعض ، إذ يكون الشبه بينهم وبين ذويهم لا يزال بعيداً، فهم في ذلك مثلهم كمثل الصورة السالبة أولُ ما يبدو منها عند التظهير خطوطٌ أولية يتلوها شيئاً فشيئاً أنصاف ظلال فظلال كاملة وعند ذلك يكون الشبه قد تم واستقر

ولا تسل عن الصدمة التي أصابتها في تلك اللحظة التي علقت كل آمالها عليها وهي أمام ولدها وليست أمامه، فلبثت حائرة بين هؤلاء الأطفال الثلاثة ولا سيما أن اثنين منهم عيونهما زرقاء كعيني طفلها فأيهما هو الذي حملت به ووضعته وقاست وستقاسي عذاب الدنيا ومرارتها فيه ؟ إنها أصبحت أمًا لكليهما، فإما أن تأخذهما معاً وإما أن تدعهما. على أنها علمت أن هذا الأمل بعيد أيضاً وأن من دونه مباحث وتحريات وتحقيقاً يثير من جديد تلك الفضيحة التي أمنت شرها وتخلصت منها، ولذلك استأذنت وانصرفت وهي حزينة باكية كثيرة الهموم

وكان أبواها طاعنين في السن تغلغلت في جسميهما الأمراض فقضيا نحبهما ، ولذلك انتقلت

إلى الاسكندرية لتعيش فيها على مقربة من أختها

بعد ثمانى عشرة سنة

كانت إحسان فى موطنها الجديد تشغل نفسها بالمطالعة وتقضى كثيراً من وقتها فى الاحسان إلى الفقراء كما أنها لاتنسى زيارة الملجأ وحمل الهدايا إليه . وهى كلما قصدته وقفت عند بابه خاشعة كأنها أمام ضريح يضم فى جوفه رفات ضحايا الأقدار والحظوظ

وكان من النظم المتبعة فى الملجأ أن كل لقيط يأنس فيه القدرة على التعلم والاستعداد له يلقنه مبادىء القراءة والكتابة ثم يخصصه لحرفة من الحرف تساعده فيما بعد على تحمل أعباء الحياة ، وكان من نصيب ذينك الطفلين المتشابهين صناعة الأحذية

وكم كانت لوعتها حين ذهبت إلى الملجأ فى يوم من الأيام فلم تجدهما ، لأنهما بارحاه بعد أن أصبحا قادرين على العيش بعيدا عنه . ثم كانت مفاجأة قاسية وقد كان هذا المكان قبلئذ يقيم فلذة كبدها بين أركانه . أما الآن فقد أصبح أمامه هذا الثغر الفسيح المترامى الأطراف فكيف تجده وكيف تهتدى إليه ؟

ولقد ظلت احسان سنوات تجوب أزقته وطرقاته وعيناها إلى الحوانيت والمخازن ، حتى إذا وجدت من بينها مصنع أحذية أسرعت إليه ، ولكن سرعان ما تتركه يائسة حزينة ولم تجد طلبتها فيه

وأخيرا بعد أن مضى على ذلك الحادث ثمانى عشرة سنة عوّلت لآخر مرة على أن تقصد إلى حى محرم بك ، حتى إذا لم تعثر عليه فيه لزمت دارها واستسلمت لهمومها

ولقد عثرت فى ذلك الحى على حانوت بجانبيه خلف الزجاج أحذية مصفوفة للسيدات والرجال والأطفال ولكنها لم تجد به أحداً فلبثت لحظة ثم همت بالانصراف عنه إلى غيره ، ولكن دافعاً من نفسها استوقفها . وفى تلك اللحظة رأت فى الجانب المقابل للحانوت فتى يسرع نحوها ، فلما رآها دهش وأخذ يسائل نفسه أين سبق له رؤية هذه السيدة . ثم تذكر أنها كثيرا ما كانت تزور الملجأ وتحسن إلى أطفاله ، وعندذلك شعر بالسرور يتمشى فى نفسه فقال لها : « خيرا يا هانم » . وما كادت عيناها تقعان عليه حتى انتفض جسمها وخفق قلبها فاندفعت إلى داخل الحانوت وطلبت إليه حذاءين من نوع تلك الأحذية التى رأتها

وعند ذلك تناول شريطا من الجلد قريبا منه وشرع فى قياس قدميها وهو يقول: إنك ستسرين كثيراً من أحذيتنا يا سيدتى . فاننا مع جودة الجلود التى نقطعها منها ومراعاة الدقة فى تفصيلها لا نجرى خلف الربح الكثير لكى نكسب ثقة الناس فينا وإقبالهم علينا . وكانت فى خلال حديثه تنظر إليه من طرف خفى فأخذت تسأله :

— هل لك زمن طويل فى هذا الحانوت ؟

— ست سنوات يا سيدتى كنت عاملا

فيه أما الآن فقد أصبح الحانوت لى

— ومن الذى عنى بتعليمك هذه الصناعة . أبوك ؟

وعندذلك أرسل زفرة طويلة ثم قال: لاياسيدتى إنما هو الملجأ . . . وكم كانت المرارة التى أحستها عند ذكر هذه الكلمة ؛ على أنها قابلت هذه الزفرة بأخرى مثلها احتبست فى فمها ، ولم يعد يساورها شك فى أن هذا الفتى هو أحد ذينك الطفلين اللذين كانت تزورهما فى الملجأ ، وأنه ولدها وكل ملامحه تشير إلى ملامح أبيه من عينيه إلى أنفه إلى فمه وإلى نبرات صوته

وكان قد طلب فى ثمن الحذاءين مائة وخمسين قرشاً فدفعت إليه جنيهين فى سبيل أن يبذل فيهما كل فنه وعنايته، ثم انصرفت وهو يكاد يرقص طربا وقد حصل على إيجار الشهر المتأخر عليه فلم يعد يضايقه المالك بسببه

وبعد عشرين يوما عادت إليه لاستلام الحذاءين وأوصته بالشروع فى حذاء ثالث من نموذج آخر . وهكذا كانت لايمر شهر إلا وتوصيه باعداد حذاءين جديدين حتى أنه كان يقول فى نفسه : لو أن هذه السيدة تستمر على ذلك فلن أتعرض يوما ما إلى مضايقة مالك الحانوت بسبب الايجار . كما أنه وجيرانه كانوا يستغربون أمر هذه السيدة وولعها بالأحذية إلى هذا الحد ، حتى لقد أطلقوا عليها اسم « عاشقة الأحذية »

وفي يوم من الأيام بعد أن انتهى من حذائها الجديد كلفته بأرساله إلى منزلها فحمله إليها بنفسه، وكانت قد تهيأت لطعام المشاء فدعته إلى مشاركتها فيه فقبل ولكن بعد تردد منه وإلحاح منها . وبعد أن انتهيا أخذت تتحدث إليه :

— لعلك لا تجهل من هى التى دفعت بك إلى ذلك الملجأ ؟

— وهل كان هذا ممكنا ياسيدتي وقد كنت وقتئذ مشدودا فى قماطى حديث الولادة ؟ إننا معاشر اللقطاء لا نعرف لنا أبا ولا أما . وكل ما نعرفه عن أنفسنا أننا من نفايات الخلق لفظنا المجتمع وأصبحنا من طينة غير طينة الناس . وكثيرا ما كان يزور الملجأ سيدات معهن أولادهن فأنظر إليهم والأسى يرجني والدموع تتسابق فى عينى . أما سبب هذا المصير الذى كان من نصيبنا فلعله لا يخفى عليك يا سيدتى . إننا لم نكن غير ثمرة ملوثة من ثمار الزنا والدعارة. إن لناأمهات،ولكن أولئك المرضعات فى عينى خير منهن لأنهن يعوضن علينا ذلك اللبن الذى حرمننا إياه . ومع ذلك فقد كنا أحوج إلى لبن آخر لا نجده عند أولئك المرضعات . كنا أحوج إلى الحنان، لبن الروح، ولكن حيل بيننا وبينه. وفوق ذلك كان علينا أن نشقى لنكفر عن خطيئات أمهاتنا

— ومن يدريك أن أمك الآن تبكى بعدك وتبحث عنك ؟

ولم تبحث عنى يا سيدتى الطيبة وأنا لا أعرفها ولن تهتز جوارحى لها ؟ لقد قطعت على طريق

السودة إليها ومهدت السبيل أمامي لانكارها ونسيانها. كم كنت أودّ لو أنها أبقت عليّ فأحمل عارها وأغفر زلتها والعصمة لله وحده، ولكنها أبت عليّ حتى ذلك فباعدت بينهـا وبيني، وأغلقت فؤادها من دوني فحرمتني نصيبي عنده من نسمة الحنو الذي غرسته فيه يد الله. وما نخري بحثها عني أو اجتماعها بي؟ إنني يومئذ أجد أمي، ولكنني لا أجد ذلك الحنان الذي كنت في حاجة إليه عندها وأنا طفل لا حول لي ولا حيلة. بل إنني لأخشى أن أذهب إلى أبعد من هذا لأن الملجأ إذا كان قد فك تلك الأغلال التي وضمتها في يديّ فان عليّ واجباً آخر وهو أن أحطم هذه الأغلال وأحطمها معها ..

وعندذلك صرخت إحسان قائلة: كفي يا حسن فحسبي من العذاب ما تحملته ثماني عشرة سنة وأنا لا يهدأ لي جنب ولا يطرف جفني، غمض حتى إذا اهتديت إلى حانوتك كان لي منه بعض السلوى وأنا أعيش بين هذه الأحذية التي لم يكن لي حاجة بها، وإنما لأنها تحمل أثر أصابعك. إنني أمك ...

ثم سقطت مغشياً عليها. فأسرع نحوها ينضح وجهها بالماء وينهضها ثم أقبل على جبينها يقبله وهو يهمس في أذنها والبكاء يكاد يخنقه:

سامحيني يا أمي!

محمود خيرت


# مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

| | |
|---|---|
| قرش | |
| ٥٠ | السنة الأولى في مجلد واحد |
| ٧٠ | كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة في مجلدين |

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

# المجموعة الأولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى العصر لموسيه، والأذيسة لهوميروس، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة.

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين
و ٢٤ قرشاً بدون تجليد
خلاف أجرة البريد

# معركة على عروس

للكاتب الفرنسي جوستاف جيفروا
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

### تعريف بالقصة

جوستاف جيفروا قصاص فرنسي قدير ، اشتهر بالقصة القصيرة والمسرحيات الموفقة وهو يدرس في هذه القصة خلق بعض الشبان والفتيات في مدينة من أعرق مدن فرنسا ، اشتهرت بالجمال وحب الاستمتاع في هدوء وغموض وهي ليون وقد كشف القناع عن عفة الفتاة وفجور المرأة ، وشح التجار . وقد قيل عند نشرها إنها رمزية تمثل نفسية الألمان ذوى الجبروت وقوة الارادة ، فتراهم لا يترددون أبداً دون تحقيق أمانيهم مهما كلفهم ذلك من القسوة على الآخرين وهي تنقل إلى العربية للمرة الأولى لقراء الرواية فعسى تحوز رضاهم

في شارع چارنت الذي يتفرع من شارع رامباردينيه بحي بيراش بمدينة ليون الزاهرة ذات الشوارع الضيقة والجسور الفسيحة والكنائس الشامخة ، حانوت صانع الأثاث إرمان موتون .

في صباح يوم الأربعاء السابق لعيد البنتكوت نادى المعلم موتون صبيه شارل شفارز وكان عاملاً ألمانيا من ستراز بورج :

« أي شارل ! إذهب إلى دار مدام ديلوم ، فانها ستعطيك كرسياً «لوي كاتورز» يحتاج إلى التنجيد وقد خبرتها أني مرسلك اليوم فامض على عجل » فمضى شارل في شأنه وهو يصفر ، حتى إذا مر بدكان الحلوى المواجه لدار معلم موسيو موتون مال إليه وانفلت من الباب الصغير ، حيث كانت صديقته الصغيرة ليوني تصنع قطعاً من الشكولاته في وعاء معدني كبير ، وكانت ليوني غضة بضة مثل لطة القشدة ، وكانت عارية الذراعين والنحر والصدر إلى منبت النهدين ، لضرورة العمل ، وقد ائتزرت بمئزر قصير لا يصل إلى منتصف الساق ، وقد انسدلت ضفائرها المسجدية على ظهرها المنحنى . فلما رأته ضحكت وقالت له : حذار أن تكون « البجمة » قد لمحتك . والبجمة صاحبة الدكان مدام كرنك دولاك السمينة الضخمة التي التقطتها وتبنتها وتعهدتها ووهبتها نصف ما تملك لتكون بائنة لها عند الزواج . ولكن ليوني كانت تبغضها وتخشاها وتحقد عليها وتشكو قيود العفة والحذر التي فرضتها عليها لتصونها من أخطار الحياة .

فابتسم شارل وقال : كلا ! إنها مشغولة بمحاسبة بعض عملائها وسمعتها تعنف السكتبي كنزلو وتتهمه بأنه التهم سبع فطائر ولا يدفع إلا ثمن أربع ، وقد جحظت عيناها وهي تقول له : تأكل السحت في بطنك أيها العنكبوت الضئيل وتزداد نحولاً كلما أدخلت بطنك فطائري المختلسة ! ألأني ائتمنتك وفتحت لك صناديق دكاني وتشاغلت عنك بغزلي .. إن عين التاجر لا تنمض .

فضحكت ليوني وألقت بجسمها الناعم اللين بين يدي شارل هامسة :

— قبلة الصباح ياحبيبي ، متى أغادر ذلك الجحر الخرب ، لأبقى لك طول حياتي ! .. فضمها الفتى إلى صدره بعنف الرغبة ، وقبلها في وجنتيها وفمها وعينيها ونحرها ، وكانت تتوجع متلذذة وهو يلثم فاها ، ويكاد يغرس أظافره في كتفيها ، فلما أفاقت من

غشية الحب السريع المفاجىء ، ملأت فمه بالشوكولاته المحشوة باللوز والبندق والجوز الدسم ، وناولته علبة من الورق المقوى ملأى بالملبس الفاخر الذى يصنع خصيصاً لعيد البنتكوت . وقالت له : عليك أن تخرج فى حذر ثم تدخل على البجمة بعد لحظة لتتأكد أنها لم ترك . فدس العلبة فى جيبه وانسلّ وسار قدماً وهو يصفر أنغاماً من أوبرا لوهنجرن ، سمعها والتقفها من غناء ريدز التينور(١) الشهير . فلما دنا من عتبة الحلوانية انحنى وحيّا وكان كنزلو لايزال مستسلماً لمطر الشتائم الذى ينهال على رأسه من سماء مدام كرنك دولاك

— ياذبل الخنوص ، ياجبهة الرياء ! ياجرذ الحوانيت ! مادمت لا علم لك عن الفطائر السبع ، فلِمَ تسارع إلى ابتلاعها ؟ وكان وجه الكتبي مصفراً كالكركم الصينى وهو يقول :

— مدام كرنك . أقسم لك بسانت فورقيير ! أنها أربع فطائر فقط لم تَزِد . إننى بطىء المضغ . اسألى الدكتور موسينيه طبيب عائلتى . شق بطنى إن شئت ، ولكن كفى بحق العذراء عن تقريعى أمام الجمهور .

فقالت له : إن كنت تستحى حقاً من الجمهور فلم تصنع فى الخفاء مالا يليق بكرامتك فى العلانية ؟ ألم تفد شيئاً من الكتب التى تسمم بها عقول القراء؟ ألا إنها وبال عليك مادامت تؤدى بك إلى تلك المجاعة التى لاتجد لها سداً إلا من بضاعة أرمل بائسة مثلى . فقال الكتبي مبتهلاً متوسلا :

— شق بطنى !

— لا أشق بطنك ، فلست فى حاجة إلى تمكير جو دكانى بما تأكل . اعزب عن عينى ! صباح الخير أيها الشاب ، لا عليك ، فإنى أمزح مع موسيو كنزلو كعادتى لأدخل عليه السرور فيحسن هضم ما أكل ، فأرجع على شارل الذى دار بعينه فى الدكان كمن يبحث عن شىء ، فقالت :

— أظنك تبحث عن ليونى . إنها خرجت منذ الصباح لتشترى مؤونة للشوكولاته التى نمدها لعيد البنتكوت . كيف حال معلمك ؟ إن لدىّ مقعداً قديماً أريد تنجيده خير تنجيد وأعنه فهو من تراث المرحوم زوجى ، وهنا تبللت عيناها بالدموع ، فنظرت إلى كنزلو الكتبي الذى مازال واقفاً مسموراً وقد قيده الخجل ، وقالت :

— بعد العصر ياموسيو كنزلو ، شرفنا لتأكل مايحلو لك من شطائر اليابان المحشوة بالقشدة ومُغْـرقة فى روم جامايكا المتيق . فابتسم كنزلو وقال

— وعد الحر دين عليه ، إلى اللقاء يامدام دولاك أوريفوار أيها الشاب ، ياله من مزاح !

وخرج كالفار المسلوخ ، يتحامل على ساقيه النحيلتين ، ويكشف عن صلعة حمراء كباطن المقلى المصنوعة من نحاس فيردان ، فضحك شارل ملء شدقيه والتفتت البجمة إليه ، وقالت :

— أدخل ، أدخل أيها الشاب . ودع عنك مارأيت وسمعت بينى وبين هذا الحمار الذى يحمل أسفاراً . وإياك أن تنقل حرفاً مما سمعت إلى ليونى أو غيرها ، لأني أفكر فى تزويجها من ابن هذا الكتبي العتيق ، لأنهم أغنياء ، وأحب قبل الزفاف أن أخضع حماها بالإذلال والإرهاب ، حتى إذا تصاهرنا كان هذا الكتبي أطوع لى من كلبى

(١) صفة المنشد الأول

ليبين ؟ وضحكت فبانت أسنانها المحطمة وقالت .

— أتعلم أن موسيو كابوش عمدة المدينة ، أمر بتحرير محضر مخالفة ضدي لأنني أطلقت اسم محافظ مقاطعة السين على هذا الكلب الأمين !

ولكن فطيرة ضخمة مشبعة بالزبدة ومحشوة بالكرز أخمدت أنفاس كوميسير البوليس كايان . وعت محضر المخالفة كالوأنك أرسلت خطابا ابريدا الحلوى والمداهنة تفسد أحسن الدم . فضحك شارل من حديث المرأة الممزوج بالبلاهة وقال لها :

— أفهم جيداً أن « الفليك » يباعون بأبخس الأثمان .

— آه الفليك [1] يالهم من فحول ذباب ! لو كانت ليونى هنا كنت أذقتك طعم تلك الشوكولاته الفاخرة . ولكن غداً لناظرها قريب . . والملبس الفاخر هدية البنتكوت . فابتسم شارل وهو يحس طعم الشوكولاته في فمه ، ويذكر قبلات الفتاة .

ومد يده إلى جيبه ليتأكد أن علبة الملبس الفاخر لم تغادره ، ولم تنفذ اليها عين تلك التاجرة الماكرة . وقال : شكراً لك سلفاً وسأمر ببيتك لأنقل ذلك المقعد المرنز ، وأدار ظهره وهو يصفر ، حتى إذا بلغ دار السيدة ديلورم ، فتحت له الباب فتاة في الثامنة عشرة ولما أبصرت الغلام الألماني الأهيف الجميل فتحت عينيها وحدقت فيه دهشة وعجباً ، وعراه هو من الدهشة لحسنها ماعراها ، فحدق فيها وقد ذهل عما كان يجب عليه من نزع قلنسوته تحية واحتراماً فوقف شاخص البصر إلى نضرة جمالها ثم أفاقت هي قبله فقالت له : من أنت ؟

(١) الشرطي

فأجاب : صبي الحلواني ، أعني الحلوانية « البجمة » مدام كرنك دولاك . وأخرج من جيبه علبة الملبس قائلا :

— ولما كانت عادتها أن تبعث إلى خيرة عملائها بعينات من الملبس الفاخر الذى تصنعه خصيصاً لعيد البنتكوت . ومد يده بالعلبة فتناولتها الفتاة وفتحتها فقال : تذوقي يا آنستي ، تذوقي فان نجاح عملنا قائم على مبدأ « من ذاق عرف » وهو شعارنا . « ذوقي وقارني » . فتناولت الفتاة بيناتها في رشاقة فاتنة ملبسة ووضعتها بين شفتيها المرجانيتين ثم افتر ثغرها عن ابتسامة زادتها في نظر الصبي حسناً على حسنها

وقالت : هل ندفع لك ثمناً لهذه العلبة ؟

فضحك قائلا : هذه هدية وعينة ...

فقالت : شكراً لك وسأقنع عمتي بشراء الحلوى من محلكم وهمت بمواربة الباب فاستدرك شارل قائلا :

— عفواً . وأمراً آخر نسيته

— وهو ؟

— إنني أيضاً صبي المنجد موسيو أرمان موتون أعني أنني أزاول مهنتين بل ثلاثاً

فابتسمت الفتاة وقالت بين مصدقة ومكذبة :

— يا لك من فتى ذي صناعات عدة !

— الحياة تقتضي الجهاد في سبيل العيش . إنني منجد في الصباح ، وحلواني بعد الغروب . فصدقته الفتاة وأشفقت عليه وسألته :

— أتريد شيئاً من متاع المنزل أم جئت بعينة أخرى من الأثاث الجديد ؟

فأجاب مداعباً : وهل في المنزل شيء هو أحلى وأشهى من ذلك المتاع الذى أراه الآن ماثلا أمامي ؟

فضربت الفتــاة بقدمها غضباً واغتياظاً من جرأة الفتي وخته، واحمر وجهها قليلا، فأدرك شارل أنها من الصنف الذي يكره الداعبة وتذكر أحضان حبيبته المواتية ليوني التى ألهبت وجهه منذ هنيهة بحر أنفاسها ، فمحا صورة الحب السريع من ذهنه وزاده غيظ الفتاة الماثلة أمامه تمادياً فى مداعبتها فقال:

— إذا كان فى متاعك خلل أو فساد تريدين إصلاحه فاعلمى أن متاع الفتيات ليس ممـا نعنى بإصلاحه ، فاطلبي لمتاعك مصلحاً آخر ! وإنما جئت ههنا بأمر معلمى الحلوانى . وسلمت إليك هديته ، ثم بأمر معلمى المنجد الموسيو أرمان موتون لأحمل إليه من مدام ديلورم كرسياً كانت خبرته أنها فى حاجة إلى تنجيده ، فأين هو ؟

فنصبت الفتاة رأسها فى أنفة وكبرياء وفتحت له الباب وسعت به إلى قاعة الاستقبال ثم أومأت إلي كرسي فيه خرق دون أن تنبس ببنت شفة ، ففحص شارل الكرسى بدقة ، ثم حمله على عاتقه وسار إلى الباب ، حتى إذا بلغه التفت وراءه ونظر إلى الفتاة وقال :

— خيراً ؟

فقالت بكبرياء : ما ذا تريد ؟

فأجابها شارل بابتسامة ممنوية أجابته عليها باحمرار وجنتيها ثم قال :

— إنى بخير والحمد لله وأرجو أن تكونى بخير أيضاً . فضحكت الفتاة ضحكة نجائية عالية وقالت :

— إنك أظرف حلواني وأعبط من رأيت من المنجدين فى حياتى . أولى لك أن تذهب فى الحال وإلا ناديت عمتى وإنها لشديدة على أمثالك المستهترين

فأسرع شارل الهبوط فى سلم الباب وقال :

— أرجو أن تكون عمتك بخير أيضاً

فلما بلغ أسفل الدرج قال :

— وإني لا أعلم كيف احتفظت بملبة الملبس ورفضت ملاطفتي . ولكنه لم يسمع سوى صفقة الباب وراءه

وسار قدماً وهو يُصفّر ، إلى أن بلغ المنزل رقم ٥ شارع بواساك حيث كانت مدام جاكيه معشوقته تنتظره ، ففتحت له الباب هاشة باشة فقد كان الفتى حبيب قلبها فى غيبة زوجها الضخم فى معمل الساعات فى مونشا إحدى قرى النهر التى شيدت فيها مصانع الآلات الدقيقة ، وكانت المرأة آمنة عودة الزوج طول النهار . فغلقت الأبواب وأنزلت الكرسى عن كاهل معشوقها ، وكانت امرأة قصيرة القامة ذات محاسن وفتنة تدفع إلى الصبي ثمن غرامه السرى كل ما تدخره نفقــة البيت وما تسرقه من كيس زوجها أثناء غطيطه

ولم تكن تصبر عن لقاء شارل يوماً واحداً فـكان يلهب عاطفته بين أحضان ليونى ، ليطفئ ناره عند جاكيه القصيرة البادنة . وسرعان ما خلعت عنه ثيابه وألبسته ثياب التفضل من صوان زوجها ومدت له مائدة رداحاً زاخرة بالدجاج المشوى — بوليه دوريه دى بريش —[1] وسمك الرون القلى ، ولحم عجل حنيذ محمر ، وحمص أخضر بالزبد والسكر ومربى المشمش التى كانت تجيد صنعها —

(١) نوع من الدجاج الفخم يتقن أهل ليون تربيته وطهيه

واعتذرت له عن بعض الفطير المحشو بلحم الخنزير وشحمه. فأكل الفتى أكلة الشره وشرب من نبيذ جراف الذهبي حتى روى وشبع واستعد للقيلولة فسألته — أين كنت يا روحي؟

أجاب — في العمل، العمل الشاق المضني

قالت — هل كنت تفكر فيّ؟

قال — طبعاً؛ وفي من سواك أفكر؟

قالت — أنت معبودي، وحبك المنيف غذاء حياتي — أين نقضي أجازة البنتكوت؟

قال — هنا في ليون، ما لم تجنّ أسرتي شوقاً إليّ!

قالت — لقد أعددت لك مفاجأة سارة فحصلت على إذن من البغل زوجي، لأزور أهلي في هوت سافوا، وفي الحق أعددت تذكرتين لنذهب معاً إلى قرية «إيل يارب» فنمرح أياماً وننعم بالحب. وقد ادخرت مائة فرنك ننفقها معاً في فسحتنا المرتقبة

قال: كيف أسافر وأنا لا أملك غير هذه الثياب الرثة ووالدي لا يرسل إليّ مالاً ظنا منه أن ارمان موتون يغدق عليّ النِعَم ويدفع لي من ثروة قارون. فأطرقت جاكميه الولهانة ثم قالت:

— لقد فكرت في ذلك أيضاً، فأعددت لك بدلة كاملة من صنع لابيل جاردينيير، أخذتها على حساب زوجي وأصلحتها على قياسك عند طرازي يجهلني في شارع جامبتا، فلا يشك في غايتي من تقصير ساق سراويلاتها، وتوسيع أكمامها، فانك أعرض صدراً من الرجل وأقصر قامة.

وبعد الظهر بثلاث ساعات خرج شارل من بيت عشيقته يحمل الكرسي وعاد إلى الدكان فلم يجد معلمه الذي ذهب إلى أهله يتمطى بعد طول انتظار الصبي، فوضع شارل الكرسي في غرفة الأمتعة المختلة واستأنف عمله في مرح وهو يصفر كعادته. فمرت بذهنه صور شتى مما شغل خياله منذ الصباح؛ فها هي ذي ليوني تقبله وتنفحه بالهدايا ثم البجعة، والكتبي الشره، ثم الفتاة التي تهددته بصمتها.. ثم المرأة الناضجة التي أطعمته ومتعته وأعدت له الكسوة والنزهة على حساب بعلها وبغلها.

ولكن محاسن الفتاة الثانية جعلت تتراءى لعين خياله، وكان وجهها فتاناً يحمل دلائل الدلال والتيه وآيات الزهو والكبرياء، وقد لذ الفتى أثناء هذه التخيلات ما كان يبدو على ذلك الوجه من العبوس عند سماع أمازيحه التي كانت تعدها الفتاة ضرباً من الاجتراء على مقامها السامي من صبي حلواني أو صبي منجد حقير مثله كما وهمت وفهمت. فأكمل إصلاح ما بيده في ظرف ساعة ومضى إلى المخزن لاختيار القطعة التالية. وكان ثمّت عدة أمتعة قد لهج أصحابها وألحوا في سرعة إصلاحها، ولكن شارل ضرب عن جميعها صفحاً وأخذ الكرسي المخروق فحمله إلى مائدة شغله. ولم يكن في نيته أن يبدأ بإصلاحه ولكنه تلذذ بمجرد النظر إليه من أجل الحسناء ذات الوجه المليح العابس. وبينا هو يتأمل الخرق الذي به ويضغط على لوالبه، أخذت عينه ورقة صغيرة كانت قد سقطت في الثقب الذي في ظهر الكرسي فتناولها فاذا بها حوالة مالية بعشرة آلاف فرنك تصرف لحاملها، فأخذها

هادئاً وأعاد تلاوتها وهو لا يصدق نظره ثم وضعها في جيبه ثم بدا له غلاف رسالة معنونة بالعنوان الآتي « المناجم الزئبقية جولد نبرج وشركاؤه — المدير جورج دي ساكس » فدسها هي الأخرى في جيبه وآمن بأن الدهر يبتسم له حتى في الغربة .

وفي تلك اللحظة عاد موسيو أرمان موتون متجهماً ؛ فلما رآه انفجر فيه بأقذع السباب على تلاعبه بوقته وتركه في انتظاره بدون غداء إلى ما بعد الظهر بساعتين في سبيل حمل كرسي مخروق. فوقف شارل باسماً وقال له :

— على رسلك يامعلمي . إن قبلت عذري فحباً وكرامة ، وإلا فوفر لي بقية أجري وسرحني باحسان أحمد لك حسن العشرة . فخبت نار غضب المنجد وقال: أتتركني ياشارل وقد علمتك خير ما في الصنعة ؟ قال : إني منصرف ؛ فان حياة المنجدين لا تروقني . قال : لا عليك ، فمعذرة . قال شارل : سأنصرف ساعة حتى يصفو دمي بعد كدره ، السلام عليك . وخرج لا يلوي على شيء حتى بلغ بيت جاكيه وكانت لاتزال كايلة من أثر عناقه ، حالمة بما كان بينها وبينه من حلو الغرام ففتحت له وقالت:

— إني قديسة ! فقد اشتهيتك تشاربني الشاي وتقاسمني تلك الكمكة المحشوة بالزبيب والفستق . فنزل على إرادتها ومزج الأقداح بالتقبيل والمداعبة ، حتى استلانت له فنهض ينظر في المرآة ثم قال لها : إني مسافر إلى قريتي حتما . ففجعت المرأة وذهلت . فقال : لقد بلغت حالي من الرثاثة مايجعل كل من يراني يحتقرني فلا بدلي من ثياب قشيبة وساعة وسلسلة وأزرار ودبابيس من فضة وذهب . فضحكت المرأة وقالت : انتظر ! ثم عادت فرحة بالثياب الجديدة وحملت من صندوق زوجها وهو ساعاتي وصائغ كل ما طلب ، وألحت عليه أن يلبس الحال ويتحلى بما تاقت إليه نفسه من متاع زوجها مملقة نفسها بنسيانه ما أودع من مصوغ .

فتأبى شارل هنيهة ثم فعل فبدا كأبناء السراة ذوي العز والنعمة وسارع إلى تركها واعداً إياها بالعود غداة غد كعادته . وفي سرعة البرق بلغ مقر « سوسيتيه جنرال » وهو مصرف قوي لرجال الأعمال ، فرحبوا به ، وأبرز لهم الحوالة ، فصرفوا له قيمتها ، وعرضوا عليه أن يحتفظوا بها لحسابه لقاء دفتر صكوك يجعل المال رهين إشارته وتوقيعه ، فقبل بعد أن قبض مئة فرنك وهي تعدل مرتبه عند المنجد شهرين وعاد إلى بيته فخلع الرداء الجديد ولبس ثياب العمل وقصد إلى مقهى تونون ليشرب فنجاناً من القهوة . وأخرج الرسالة التي وجدها مع الحوالة في خرق الكرسي فاذا فيها

عزيزتي روزموند

ليت شعري كيف أثر فيّ حسنك هذا الأثر البالغ ! ماذا أحدثت ألحاظك في حشاي من الجراح والأوصاب ؟ وما الذي قالته عيناك لقلبي فأجاب ؟ هل نلتقي في يوم الأربعاء المقبل بعد ظهره ، في عين المكان والأوان اللذين تلاقينا فيهما آنفا فانعم بحديثك العذب ؟

المخلص

جورج

فقطب شارل جبينه ووضع الرسالة في جيبه . ولما عاد إلى الدكان استمر مقطماً ونسي صفيره ،

ولحن لوهنجرن الذى كان يكرره، فلقيه المعلم موتون بالترحاب وقال له :

— مايرضيك ياشارل فأنا كفيل بنفاذه . أجاب « أن تزيد راتبي إلى مائة وخمسين فرنكا فى الشهر ، وأن تدفع لى مقدما مرتب شهرين لأصلح من شأنى، وأن تمنحنى أجازة ثلاثة أيام أقضيهـا فى تريض خاطرى » وهو يعلم أنها شروط قاسية لن يرضخ لها المعلم لبخله وشدة حرصه، ولـكنه جعلهاماحكة ليصرفه مستغنياً عن خدمته . فتنهد موتون وقال : إنها لأقسى من شروط سيدان التي أملاها بيسمارك على وطننا . . . ولـكننى أقبلها. ثم دفع له ما طلب لأنه كان ينتوى أن يزوجه من ابنته لورا ويترك له المتجر والمصنع ، لينعم آخر حياته بالراحة والغنى واستمرار اسمه معلقاً بأعلى الدكان حرصاً على شهرته وعملائه . ولـكنه يضمر ذلك ولا يبوح به ، لئلا يفسد أخلاق عامله الذى يجهل منشأه .

فعاد شارل إلى عمله فى كرسي آخر وترك المقعد المخروق ينمي من خرمه، ودس فيه وثيقة المال ووثيقة الهوى بعد أن نال حظه منهما ومهلا له بداية المعركة ليفوز بعروسه .

وبعد لحظة ظهرت الفتاة الحسناء العبوس فى عتبة الدكان ، فقال له المعلم :

— شارل ! هذه ابنة شقيق مدام ديلورم تريد أن تكلمك كلمة . فاحتفظ شارل بثباته ، وهو الفاجر الواثق من نفسه الخبير بأخـلاق النساء . وكانت الفتاة مرتبكة مضطربة يذهب لونها ويجيء فقالت للفتى :

— أظنك قد . . . أريد أن أقول لك هل عثرت على شيء فى الكرسي الذى أخذته اليوم من دار عمتى ؟ فنظر شارل تلقاء المعلم فوجده مكبا على شيء يصلحه غافلا عنهما فقال : انني منذ حملته على كاهلى لم أره ولم ألمسه فتفضلى بأخذه ان شئت أو فحصه إن أردت . ثم عاد إلى عمله . فقالت بكبرياء وعظمة : انه خطاب لا أكثر ولا أقل فأعطنيه .

فقال: انتظرى لحظة ، ودخل إلى غرفة المخزن وعاد يحمل الكرسي بعد أن دس الخطاب فى الخرق أعمق مايكون ، ووضع يده فأخرج الغلاف واستبقاه فى يده

فقالت : اعطنى الرسالة . فهز رأسه نفياً وإباء فقالت : إذا أبيت تسليم هذا الخطاب شكوتك إلى مدام ديلورم عمتى

فقال شارل بثبات ورزانة : وإذا سلمته اليك فسأبلغ الأمر إلى مسامع عمتك مدام ديلورم . ولم يكد يتم قوله هذا حتى راعه وآلمه ما أبصر من شدة اصفرار الفتاة وامتقاع لونها . فالتفت إلى مسيو موتون معلمه وقال :

— إن السيدة الصغيرة تريد أن أرافقها إلى دارها لتطلعنى على شيء من أثاثه وسأعود بعد برهة قصيرة . فهز المعلم رأسه موافقة دون أن يرفعه عن عمله .

وغادر شـارل الدكان تتبعه الفتاة مستكينة متواضعة، فلما بلغ زقاق جوادى فيفرو كانت الشمس قد آذنت بالغروب وقف وواجه الفتاة وكان يشرف عليها بمقدار قدم لطول قامته . وقال لها : اياك أن تحاولى انتزاع الرسالة من يدى لئلا تحدث فضيحة شنعاء أمام المارة ، وتدلى بذلك على سوء نيتك فتذهبي بالبقية الباقية من احترامى وعطفي عليك .

فأومأت برأسها علامة الرضى وهى تكاد تنفجر غيظاً من تحكمه، ففتح الرسالة وقرأها بصوت عال كمن

يقع نظره عليها لأول وهلة . ثم قال مستفهما :

— اسم حضرتك روزموند ؟ فقالت مغضبة ليس هذا من شأنك. فقال مبتسما : إذا كنت تأبين أن تجيبي عن سؤالي هذا فسأعرف الجواب من حضرة عمتك . فقالت : اسمي روزموند . فرنا إليها بنظرات لينة رقيقة ملؤها الحب والطرب وقد أذهله ما هو فيه من اللذة عن مشاهدة ماصبغ وجهها إذ ذاك من حمرة الغيظ والوجل . ثم قال :

— إذن اعلمي ياروزموند أني لست بمعطيك هذه الرسالة . كلا ! لاتعبسي ولا تقطبي جبينك ولا تظني أني من قبيل ذلك الفتى جورج صاحب الرسالة . ومهما يكن جورج هذا فانه وغد خسيس وكذاب أشر وما خطا به إلا إفك وبهتان. سأبحث عنه فأنظر بنفسي أي امرىء هو، هل يصلح أن يكون زوجاً لمثلك . لاتؤاخذيني في فضولي وتطفلي على أسرارك فاني مدفوع بأقوى عوامل النفس إلى الاهتمام بشأنك ؛ فاذا وجدته كفؤاً لك — ولا إخاله — فسأعتذر له عن سوء ظني ثم أحضر حفلة زفافك بثياب قشيبة وهدية من الحلواني . . ولكن هاتفاً يهتف بي من أعماق نفسي انه وغد خسيس ونذل جبان وأحمق غبي . كذلك شعوري وهو شعور صادق قد ورثته عن أبي . فدعيني وتنفيذ خطتي وإمضاء عزيمتي فانك إن حاولت منعي فسأذهب توّاً لعمتك وأقدم لها الرسالة قائلا إني عثرت عليها في الكرسي . فلم يكن من الفتاة إلا أنها شرعت تبكي وتنتحب وتمزق منديلها بثناياها الجميلة من شدة القهر والغيظ والعجز عن الانتقام فقال لها : لاتؤذي عينيك الجميلتين بالبكاء فوحق العذراء ما قصدت إلى إيلامك وإيذاء عواطفك

فقالت له وهي تحرق الأرم: إنك لفظ غليظ القلب. أعطني الرسالة من فضلك . انها ملكي لاملكك .

— فقال شارل شفارز : إني أستملحك وأستظرفك وإني معجب بمحاسنك ، وسيأتي يوم تعلمين فيه حقيقة مقصدي ، وهو إيصال النفع إليك ورد الأذى عنك ؛ فاذا خشيت عمتك إلى هذ الحد فاني أعدك ألا أوصل الرسالة إليها أبداً ولكني أذهب معك إلى أقرب أقسام الشرطة ، وهناك أسلم الرسالة . فنصبت الفتاة قامتها وقذفت الفتى الألماني بنظرة حشدت فيها كل ما تستطيعه طبيعتها من البغضاء والكراهية وانطلقت في سبيلها دون أن تفوه بكلمة أخري. فراقبها وحك رأسه، ولكنه لم يلبث أن سرت إلي وجهه دلائل العزم والاصرار الذي قد ورثه أهل جرمانيا قاطبة عن أجدادهم القدماء، فمضي توّاً إلى القنصلية الألمانية بشارع كي دي برتو وقال إنه يريد لقاء القنصل للتو واللحظة ، فما لبث أن خرج إليه القنصل من مكتبه الخاص فدنا منه شارل وأسر إليه كلة في أذنه ، فأجابه القنصل : كلا ! فأخرج شارل من جيبه رسالة وأعطاها للقنصل فقرأها الثاني بروية وأعادها إلى شارل وقال « لابأس ! »

عند ذلك ذهب شارل إلى مكتب شركة المناجم الزئبقية. جورج دي سا كس وشركاؤه، فقال صبي المكتب لشارل : المسيو جورج دي سا كس ليس ههنا ، ولعلك واجده في قهوة ريش في الشارع المجاور . فمضى شارل إلى القهوة وعقد صحبة مع النادل فأتحفه بكأس من الراح وألطفه بلفيفة من تبغ الزاس وأقبل عليه يحادثه في حالة الطقس وأخطار الحرب المرتقبة وأسعار الحرير وحوادث القسس

ثم شرع يستفهم منه عن أسماء اللاعبين بالورق، وكانوا جالسين بناحية من المكان فكان ممن سماهم النادل جورج دي سا كس، فاذا به كما كان قد صوره كارل في مخيلته تماما — صغير نحيف حسن الهيأة ولكنه ضعيف البنية أصفر الوجه. وقال النادل : إن موسيو جورج هذا على ضعفه ونحوله وصفرته زير نساء عريق وله على الفتيات سلطان عظيم، فهن يتزاحمن عليه ويتهافتن. إنه غني .. وخداع . وانتظر شارل حتى فرغ جورج من اللعب والخسارة لأنه سيء الحظ في الورق، حسن البخت في النساء [1] ـ ثم استدعاه ووقف به ناحية وقال له :

جئت من ستراز بورج ومازلت أبحث عن صنف جيد من الزئبق الأندلسي ، أرسله هنالك ، وإني أعلم أن ليس من اللائق أن أبغتك بطلبي هـذا في مثل هذا المكان ولكني لا آتي هنا كل يوم وقد.. فقال جورج ببشاشة التاجر وحفاوة الثري المستزيد :

عفواً ياسيدي، أنا في خدمة عملائي في كل آن ومكان ، تفضل بالجلوس ، ماذا تشرب ؟ لا بد أن تكون أنبذة كروم الراين قد أوحشتك، إني أشربها بلذة . ثم تناقشا مليا في الزئبق وأسعاره ونفقات شحنه ونسبة « العمولة » ، وقال شارل إنه سينظر في الأمر ثم يخبره بالنتيجة فيما بعد . وقد أساء شارل وآذاه وآلمه أنه بدأ يشعر بشيء من الميل إلى جورج والاستئناس به واستظرافه، وأن جورج بدأ كذلك يظهر مثل هذه العاطفة نحوه وقال جورج دي سا كس:

— حبذا لو تعشينا الليلة معاً ؛ إني لأعرف مطعماً شهيراً بجودة دجاجه وحسن نبيذه . فقبل شارل دعوته والتمس منه ساعة لتبديل ثيابه وتواعدا على اللقاء في نفس القهوة التي اجتمعا بها . وعاد شارل متطرباً بجلواً متحلياً طروباً وبانت عليه نعمة معشوقته مدام جا كيه وبقلها وهو بملها . فانتقلا إلى المطعم في سيارة جورج ، وقبل فراغهما من الطعام خبره دي سا كس أنه مستعد أن يقدم إليه كل مالديه من الزئبق بأسعاره الأصيلة وأردف قوله « أي هيرشارل ! إنك أحب إليّ من أن أربح من ورائك أدنى شيء وبودي ألا أفارقك أبداً . فهل لك في الركوب معي الليلة للنزهة فاني أعرف فتاتين لاتأبيان أن تصحبانا فنقضي معهما برهة من الزمن . فذهبا للنزهة مع الغادتين وكانتا مليحتين، ثم اقترح شارل أثناء النزهة الذهاب إلى دار الصور المتحركة ولكن دي سا كس هز رأسه نفياً وهمس في أذن شارل عند أول فرصة قائلا :

— لاتقترح أدنى شيء من هذا القبيل فاني أعرف فتاتين أخريين أفضل أن نأخذهما إلى دار السينما ، لأنهما أليق بذلك المكان وأبهر للعيون في الضوء وأمتع لنا في حلكة الظلام . وكذلك ذهبا إلى دار السينما ووفى دي سا كس بوعده فاستحضر الفتاتين. وتغيب شارل عن دكان معلمه المنجد ثلاثة أيام قضاها مع صديقه الثرثار رئيس شركة الزئبق . وفي كل ساعة يقدم له هذا الصديق فتاة جديدة ، وكل ساعة يزداد شغفاً بشارل الذي نسي ليوني وجا كيه وازداد تعلقاً بروزموند . وقد سهل على شارل أن يستكشف السر في ميل الفتيات الى صديقه ، وذلك أن جورج دي سا كس كان طلقاً متهللا لانفارق شفتيه ابتسامة البشر ولا ينطفئ في أسارير وجهه نور البشاشة مع كثرة الملق والتلهوق

(١) مثل فرنسي سائر

والاطراء، وكانت له حيلة إلى أقناع كل واحدة أنها خليلته ومعشوقته دون غيرها . فقال مرة لشارل : إنى لا أخلو من النساء ساعة ، وإنى لأجدنى مدفوعا إلى منازلهن اندفاعى إلى الأكل والشرب، لا أستطيع الامتناع عن الأولى إلا إذا أطقتُ الامتناع عن الثانية .

فقال شارل : ولكن ماذا تصنع إذا تزوجت وقر قرارك ؟ فحدق جورج فى وجه شارل قائلا : أتزوج ؟ إنى متزوج، ألم تعلم بذلك ؟ لقد مضت زوجتى إلى قرية مونبيان لتزور أمها وسأقدمك اليها عند عودتها . وإن لها زمرة من الأتراب الحسان والصواحب الغوانى كأنهن الربرب أو سرب المها لايزلن يحمن حول دارنا يرفرفن علينا . فقهقه شارل ضاحكا ثم أممنا فى الشراب فقدم إلى دى سا كس الرسالة التى كان وجدها فى الكرسى فقرأها جورج وشرع يمسح جبينه بيده كالذى يحاول أن يتذكر شيئاً قد نسيه ثم قال :

لقد نسيت اسمها ولقبها . خبرني كيف حصلت على هذه الرسالة ؟ فأدرك شارل قلة اهتمامه بشأن روزموند وذهوله ألبتة عن كل ماحدث بينه وبينها . وسأله جورج « ولكن كيف وجدت الرسالة ؟ قال شارل: سأخبرك فى وقت آخر، ولكنى أطلب إليك الآن أن تكتب لها رسالة أخري وتمطينى إياها لأوصلها إليها فأربح رهانا عقدته فى مسألة مسلية، أتوافق على ذلك؟ فقال جورج وهو يترنح : ولِمَ لا ياصديق ؟ وسيان عندى أن أقول لها إنها أحب الناس إلى أو أقول لها بُعداً لك وعليك العفاء. هلم أمل على ماتشاء أيها الألمانى الظريف .

* * *

وردت على مدام ديلورم عمة الفتاة روزموند رسالة فجعلت تقلبها فى يديها مراراً عدة ثم قالت : لا أفهم ما ذا فى هــذه الرسالة فان أسرة برادنبور تدعونا إلى الغداء بعــد ما نسونا زمناً طويلا ، وقد دعوا أيضاً القنصل الألمانى وجميع أصحابهم القــدم . فى أى حلة تذهبين إلى المأدبة ياروزموند ؟

* * *

قالت مدام برادنبور : ما أشد فرحتى بك ياروزموند ؛ لم تكوني آخر عهدى بك إلا طفلة ضئيلة . هاك قنصل ألمانيا يا روز موند يذوب شوقاً لرؤيتك، وهاك موسيو شارل شفارز. فهمس شارل فى أذن الفتاة قائلا :

— سأرد إليك الرسالة متى شئت . فعلت الفتاة شفتيها تلك المطة الحلوة المعهودة وعبست تلك العبسة المستملحة وقال شارل : إن الرسالة ليست معى الآن ولكن معى رسالة أخري من الذى كتب لك الأولى فبدا الغضب على وجه الفتاة . وقالت :

— لا أدرى لــاذا أنت هنا الآن ؟ ولا يهمنى تهديد صبي حلوانى أو صبي منجد وضيع . ولكن إذا كنت تحسب أن من الشرف والمروءة أن تتدخل فى شؤونى وتقاتل رجلا من الناس لتغلبه فترغمه على أن يكتب إلى رسالة سفه وخسة ودناءة فاسمح لى أن أخبرك أنك رجل شاذ غريب الأطوار. فقال شارل :

— أقاتل رجلا ؟ أتريدين موســيو جورج دى سا كس ؟ عجباً لك ! إنى أعشق الرجل . وهنا تدخل القنصل فجأة فصاح إلى عمة روز موند :

— أى مدام ديلورم ! ما رأيك فى هذا الفتى ( يريد شارل ) إن أباه من أغنى تجار الأخشاب فى

الغابة السوداء وأشهرهم فى بلاد الراس وقد أراد أن يصقل ابنه ويعلمه فن التنجيد لضرورة تجارته ، ولكن شارل أنف أن يزاول هذه المهنة فى وطنه ، ولذا قدم إلى هذا البلد فأخفى نفسه فى دكانة منجد صناع ، ولكنها مستورة عن الأنظار حيث يأمن ألا يعثر عليه أحد . وبينا هو كذلك إذا به قد خرج بغتة من جحره فانقض على وسألني المعونة فى مسألة غرامية اعتماداً على ما بينى وبين أبيه من الصداقة والمودة فخبريني يا مدام ديلورم رأيك فى الفتى وفيا يرى إليه ويطمح

فبدت على مدام ديلورم دلائل الحيرة والارتباك، ولكن مسيو براد نبور رب البيت وصاحب المأدبة شاهد ماظهر إذ ذاك على وجه روز موند من شواهد السرور والفرح فى احمرار وجنتيها ووميض عينيها وبريق ثغرها فأخرج مفتاحاً من جيبه وأعطاه لخازن الراح وقال له :

— هات لنا أجود ما لديك من السلاف نشربه فى نخب العروسين

فالت مدام ديلورم بشارل جانباً وقالت : أصارحك بأن بائنة روز موند وهى حوالة بعشرة آلاف فرنك قد فقدت منى — وبلل الدمع عينيها — وكانت كل ما تركه شقيقى لكريمته فما حيلتى ؟

فأخرج شارل من جيبه حوالة باسم روز موند على مصرف سوسيتيه جنرال بأن يوفروا لها باسمها مبلغ ثلاثين ألف فرنك نقداً فقالت العجوز :

— سيدى ! فقال لها: لقد وجدت البائنة فى خرق الكرسى المبارك الذى لا يزال عند معلمى أرمان موتون وقد آليت على نفسى ألا يصلحه أحد سواي وسأحتفظ به حتى يراه أولادنا فيعلموا أنه سبب سعادتى وعلة وجودهم. فضحكت روزموند وقالت: وسأحتفظ أنا كذلك بعلبة من الملبس الذى يصنع لعيد بنتكوت

* * *

ودعا شارل إلى حفلة زفافه « البجعة » وليونى والمنجدوجاكيه والكتبى كنزلو وجورج دى ساكس وقدم لكل منهم هدية لائقة، ولما كان ألمانياً فاجراً قادراً على القهر والحيلة فقد أرضى كلا من مدعويه بهمسة فى أذنه فقنعوا من مودته بوعوده ، ما عدا المحبة المفتونة جاكيه البادنة الشقراء التى وثقت أن زفافه سيحرمها غرامه . فهمس فى أذنها :

— لا تنسي أننا سنقضى معاً أجازة البنتكوت

محمد لطفى جمعة


## مؤلفـــات
## الأستاذ محمد كامل حجاج

صـ

٤٠ بلاغة الغرب جزءان ( مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب )

٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان ( متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان )

١٨ نباتات الزينة المشبية ( محلى باحدى وتسعين صورة فنية )

١٥ Les Plantes Herbacées ( محلى بنفس الصور السابقة )

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة وكتب الزراعة تطلب من شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

# التكافــــؤ فى الزواج

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر ولم يبق إلا دقائق على الموعد عند ما التفتت « مونا » من نافذة المشرب الذى هى جالسة فيه وهو فى البناء الواجه لدار البرلمان وهى تنتظر مجىء « روى »

وكانت « مونا » مخطوبة « لروى » منذ ستة أشهر وكان الحب متبادلا بينهما . لكن الخطبة لم تعلن بعد ولم يوافق عليها أهلها إلى الآن . وكان لابد للفتاة من إثارة حرب شعواء بدارها قبل أن يوافقوا على هذه الخطبة . ولقد نشبت الواقع الأولى ولكن على غير طائل .

وجاء روى فى موعده ودار الحديث فقال : « من العبث أن نتجادل فانى مع اعتقادى بأنك أنت الفتاة التى خلقت لى فانى أرى كلاًّ منا ينتسب إلى دنيا غير التى ينتسب إليها الآخر »

قالت مونا : « لست أفهم ما تعنيه » فقال : إننى رجل فقير أشتغل كاتباً فى مصرف ولا يزيد إيرادى على مائة جنيه فى العام ، وأنت بنت عضو فى البرلمان ينفق مثل هذا المبلغ فى أقل من أسبوع ، وأنت تلبسين من أغلى الثياب وتقيمين فى شارع « بوندستريت » ، وأنا ألبس من أرخصها وأقيم فى « شارع ستراند » ، وأنت تسافرين فى السيارة إلى أبعد المسافات وأنا قد أمشى أحياناً لأنى لا أملك أجرة الترام

قالت مونا : « إننى أكره الكلام بهذه اللهجة فانك بها تحاول إفهامى أنى مغرورة بالغنى » فقال : « إنك لست بالغنى مغترة . ولو كنت كذلك لما قبلت الزواج منى . ولكن الواقع أن الأسابيع القليلة الماضية دلت على أن عهد خطبتنا لن يدوم »

قال : « إننى أفضل عدم المناقشة فى هذا الموضوع . وقد وعدت أبى بلقائه الليلة فى المجلس وقد آن الموعد وسأقنعه بكل رأيى

قالت ذلك ولكنها لم تتحرك من مكانها ولم يتحرك روى كذلك . وبقى كلاهما صامتاً مدة من الزمن . وكان هذا الموضوع أهم من أن يهملاه أو أن يحسما فيه برأى دون ترو . وكانت مونا تشعر فى أعماق نفسها بأن فيما يقوله روى شيئاً كثيراً من الصدق

ومونا هذه هى وحيدة السير فيليب مارز ولم تعرف قط ما معنى الاحتياج إلى شىء من الأشياء وكانت دائماً مالكة حريتها التامة فى قصر أبيها فى ويمبلدون . وكان من عاداتها أن تسوق عربتها بنفسها وتبتاع من الثياب والمعاطف مايجزع عند المطالبة بثمنه كل الآباء ، ولكن السير فيليب كان وافر الغنى وكان لايضن على ابنته بشىء . . .

وكان روى من هواة التمثيل وهو يشغل أوقات فراغه بتأليف روايات المسرح وتمثيلها مع جماعة من أصحابه الهواة . وفى يوم من الأيام احتاج الى سيدة لتمثل دور الأميرة فوقع الاختيار على مونا لأنها بطبيعتها تمثل هـذا الدور فى غيرما تكلف وقبلت مونا ذلك أولا لأنها تحب التمثيل، وثانياً لأن هذه فرصة سانحة لشراء ثياب جديدة . ولما كان

روى من أبعد الناس عن التأنق فى الثياب فانه مثل دور سائق سيارة للأميرة .

وكانت الرواية تجعل هذه الأميرة تتدله بحب هذا السائق، فلم تكتف مونا بحبه على المسرح فقط بل أحبته فى الحياة الحقيقية، فأحبها روى كذلك، وتبادلا العهود والمواثيق وشعر كل منهما بأنه لايستطيع الحياة دون الآخر . وكانا يتقابلان دائماً ويقرآن كتباً متوافقة ويفكران تفكيراً مشتركا ويستنشقان نسيماً واحداً . وفى الحفلات الراقصة يرقصان معاً . ومايكاد يمضى يوم واحد لايتقابلان فيه

ولما ذهب روي إلى السير فيليب ليعرض عليه تزويجه من ابنته تلقاه بالضحك والبشاشة لأن عهد الكبرياء والغطرسة فى حياة هذا النائب قد انقضى منذ سنين .

قدم اليه النائب لفافة تبغ وقال : « إننى لا أعجب من حبك لمونا فهي جميلة ، ولكنى بغض النظر عن موافقتى أو عدم موافقتى باعتبارى أباً فلا أشير عليك إذا عددتنى صديقاً بأن تتزوج منها، فان الزوج الذى يستريح الى حياته معها هو الذى ينفق عليها أربعة أو خمسة آلاف جنيه فى العام .

هبط قلب روى « بنطين أو ثلاثة » على حد تعبير سماسرة البورصة وأدرك أن السير فيليب لم يقل إلا الحقيقة، ولكنه أجاب : « إن مونا تعرف أنى فقير ولكنها لم تعر هذه المسألة شيئاً من الالتفات »

فقال النائب : إن مونا كالأوزة، فهي لاتعرف معنى الافتقار الى المال، وهى لاتعرف كيف تطبخ الحساء وأرى أن الزوج الذى يناسبها هو الذى يستطيع أن يجعلها تعيش على نفس النظام الذي اعتادته قبل الزواج . والحقيقة ياصديقى روى أن مونا بلهاء وإنك على مايظهر لست أفضل منها »

اختضب وجه روى احمراراً، ولكن ذلك لم يكن لاستيائه من أن يخاطب بلفظ أبله بل لأنه لم يكن يتوقع أن يتكلم أحد عن مونا بمثل هذا اللسان

وخرج روى من عنده وهويائس، ولكن مونا نفسها أنقذت الموقف، فقد قالت لأمها وتلك أبلغت السير فيليب أنها راغبة فى الزواج من روى وأنها هى التى اختارته، وأن أباها إذا اعترض على ذلك فانها لن تصفح عنه ، فغير السير فيليب خطته وقال لابنته : « إذا كانت سعادتك مرتبطة بحظ هذا الشاب فاننى وأمك نكف عن معارضتنا، فاننا نريد أن تكونى سعيدة . ولك الحق فى أن تختارى لنفسك ، ولكنى أريد أمراً واحداً إذا وعدتنى به تركت المعارضة، وهو أن يمتنع الكلام بتاتاً عن أمر الزواج مدة عام وفى العام المقبل تتزوجين »

وكان فى لهجة النائب رنة لم تستطع الفتاة فهمها، فقطعت على نفسها العهد الذى طلبه . ولم تكن مونا متعجلة بالزواج اكتفاء بأنها مخطوبة خطبة علنية لروى وأنها تذهب معه إلى كل مكان مبكرة أو متأخرة وهى تعد شريكته فى كل مجتمع

ولما اجتمع السير فيليب وزوجته لأول مرة بعد ذلك أشعل السير سيجارة وقال وهو يراقب دخانها : « لو أننا عارضنا هذين الأبلهين فانهما يظنان نفسيهما من الشهداء . ومن المحتمل أن يتزوجا على الرغم منا . ولذلك وجب علينا أن نأخذهما بالحيلة وأنا واثق من أن كلا منهما سيمل من الآخر قبل انقضاء ستة أشهر . إن مونا لاتحب إلا الأشياء الغالية الثمينة وهذا الخاطب الفقير لايستطيع أن يفى

بمطالبها . ولذلك انتظر أن يتشاجرا فى أقرب الأوقات »

لم تجبه زوجته ووضعت مروحتها بين وجهها وبين المصباح : إما لـكى تستر مايبدو على عينيها من الملائم ، وإما لـكى تحمى عينيها من الضوء

وكانت تقول في نفسها : «هل يجوز للمتقدمين فى السن استخدام تجاربهم بمثل هـذه الوسيلة ؟ لـكنه ربما كان فيليب محقاً وربما تشاجرت مونا وروى . ولكنى أفضل أن ترسو سفينتهما عند الشاطىء فى أمان فان من الخطر بقاءها فى وسط البحر مدة طويلة .

ومرت الأيام واتضح أن رأى السير فيليب كان رأياً سديداً

جلست مونا وروى أمام المنضدة التى يتناولان عليها الشاى وكلاهما يتجنب النظر إلى وجه الآخر . ولكن هذا التجنب كان خطأ منهما فلوأنه نظر إليها لأدرك أن الدموع تتجمع فى عينيها بالرغم من دلالة صوتها على الغضب . ولو أنها نظرت اليه لرأت رغم غيرته وقلقه أنه لايزال يحبها ، ولا يزال هذا الحب مالـكا كل قلبه

لـكن المصاعب التى وجدت أمامهما كانت أشد مما يتوقعان، فاذا ماذهبا إلى المسرح لم تسترح مونا إلى العربة لأنها اعتادت ركوب السيارات الفخمة، ولم يسترح كذلك روى لأنه يفضل السير على قدميه أو ركوب « الامنوبيس » . وكانت مونا تحب الملاهى وتعدها أهم شاغل لها فى الحياة فهى المدرسة الوحيدة التى تتعلم فيها ؛ أما روى فانه يعد الملاهى تسلية مؤقتة للتخفيف من أعباء العمل اليومى

وكانت هناك علة أخرى للمتاعب هى شعور روى بالغيرة . ولم يكن هـذا الشعور خالياً من المبررات فان مونا كانت تدعى دائما أن لها حرية التصرف فى كل شىء . وكانت تقول : « ليس ممنى خطبتنا أن نهجر كل أصدقائنا القدماء . وفضلا عن ذلك فان هانسون يختلف عن غيره وقد كان يعرفنى من عهد الطفولة »

وكان « هانسون ميدواى » أكبر من روى بعشر سنوات وهو من أغنى التجار ، ولا حـد لاستعداده فى تبذير الأموال وهو يقدم لمونا من الهدايا ماليس يملك مثله روى ، وكان يهزأ بفقر صاحبه هذا

كانت صداقتها له امتحانا مؤلماً لروى ولكنه لم يكن يجد سبباً حقيقياً للشكوى لأن مونا لا تعتز بشىء فى العالم مثل اعتزازها بالصدق والأمانة . وكانت تقول له : « يجب ألا تهتم بشىء فان هانسون ليس له مكانة فى قلبي ولـكنى أسر من الخروج معه لمجرد اللهو والتسلية .

ولكن روى كان شديد التذمر فلما ألح في مراجعتها قالت : « إذا أردت فسخ الخطبة فان الأمر كله فى يدك »

ولم تكن تعني ما تقول ولكنها أرادت إطعامه طعاماً مهيناً فلم يستطع تناوله وامتنعت شهوته للطعام وقال بلهجة تدل على الغضب أكثر من دلالتها على الود : « إنى لا أريد أن أفسخ الخطبة ولكنى أريد أن أتزوج منك، غير أن السعادة لا يمكن أن تكون على هذا المنوال »

قالت : « ماذا تريد أن أفعل؟ أأجلس على المقاعد الخشبية فى أعلى المسرح لـكى أقنعك بأنى أميل إليك ؟ »

فسكت روي وقالت : « إذا لم يكن لديك مال تستطيع إنفاقه فهذه ليست غلطتى فان غيرك يستطيع بسهولة أن يحصل على ثروة »

كان هذا الجواب قاسياً ولكنه لم يستثر روى فأجابها بهدوء : « إن بعض الناس يحصلون على الثروة بسهولة ولكننى لست واحداً منهم؛ والأفضل يامونا أن نفترق مدة عام ليفكر كلانا فى الأمر بروية »

فقالت : « كما تشاء »

وكان جوابها بغير تردد ، ولو أنها شعرت بأن حرارة قلبها تهبط إلى درجة الصفر . وقال : « إنى أعرف على أية حال ستكون مشاعرى عند انتهاء هذا العام، فانى سأظل راغباً فى الزواج منك، ولكن ربما استطعت أن أحصل على شىء من المال فتكون حياتنا أقرب إلى السعادة منها الآن »

ثم أطرق، ولو أنه استطاع قراءة أفكارها فى هذا الحين لوجد أنها تريد أن تقول : « لا حاجة إلى الافتراق يا روى فانى لا أريد أن أكون قاسية »

لكن الكلمات التالية جعلت التوفيق مستحيلا إذ قال : « إذا كنت لا تزالين تميلين إلىّ فربما كانت فتنة هانسون ميدواى غير قابلة للمقاومة »

فأخذت الفتاة قفازيها وقامت وهى تقول : « أريد مقابلة أبى الآن، فاذا سمحت فانى أريد أن أدفع لنفسى ثمن الشاى »

فقال وقد احمر وجهه : « لا أظنك تريدين أن تفعلى شيئاً كهذا . ألا تريدين مقابلتى مرة أخرى »

فأجابته : « نعم بعد عام من الغد » فتبين طول المسافة وقال : « ألا يكفى ثلاثة أشهر ؟ »

قالت : « كلا فأنت اقترحت جعل المدة عاماً وهذه فكرة صائبة . لا تنس هذا الموعد فسأنتظرك فى هذا المشرب على هذه المنضدة فى الساعة الرابعة من يوم ٢٣ ابريل من العام المقبل فاذا لم تأت فاني أعرف ما ذا تمنيه بتخلفك »

ثم أحنت رأسها أمامه بشكل كتمت فيه عواطفها وجرحت عواطفه وقالت : « وداعاً بالنسبة للحاضر »

ولقد يظن القارئ أن مدة عام لا تحدث أي تغيير ...

— ٢ —

فى شهر ابريل التالى كان روى جالساً فى الفندق عند شاطئ البحر والأمواج المائجة تتحطم على الصخور تحت نوافذ هذا الفندق، وجاء الخادم يستأذنه فى احضار الشاى فأمره باحضاره وسأله هل وردت باسمه خطابات ! »

فأجاب بأن له خطاباً فى غرفته ثم ذهب ليأتي به وعاد ، فلما وقع نظر روى عليه عرته رعشة لأن عنوانه بخط مونا وكانت هذه أول مرة رأي فيها خطها منذ عام .

ولقد حدث فى هذا العام من الحوادث فوق ما كان ينتظره حين اقترح هذا الاقتراح بشرب الشاى أمام البرلمان .

على أثر المقابلة الأخيرة نُقل روى إلى فرع جديد صغير أنشىء للبنك فى بعض النواحى . وكان عدد زملائه فى هذا الفرع قليلاً . وفى أحد الأيام صادف أن وجد روى وحيداً فى ذلك المكان فدخل عليه رجلان مقنعان يحمل أحدهما مسدساً .

ولقد أراد واضعو الروايات السينمائية أن يجعلوا من يقع فى مثل هذه الحالة من التهديد يرفع يديه مستسلماً لأن أكثرنا يفعل ذلك فى مثل هذه الحالة .

ولكن ذلك كان مستحيلا بالنسبة لروى فانه لم يظهر شيئاً من الانزعاج بل نظر الى ماوراء الذى يهدده وقال : « قيد يديه ياضابط البوليس . أسرع باعتقاله »

فالتفت المعتدى إلى الوراء ، وفى أقل من لمح البصر ضربه روى على ظهر رأسه بقبضة المنشفة التى على مكتبه فلاذ زميله بالفرار وتبعه الآخر ، فطارده روى وتمكن من القبض عليهما ودلا على سائر أفراد العصابة .

وكافأ المصرف روى على « ذكائه وحضور ذهنه » بجعله رئيساً آخر وزيادة راتبه مائة جنيه. ولكن روى بدلا من أن يشكر رئيسه على ذلك ويذهب أظهر عدم اهتمامه . وكان موجوداً بجانب الرئيس صديق له من تجار الماس فاستأذن الرئيس وعرض على روى أن يخدم لديه براتب قدره ٧٠٠٠ جنيه فى العام . وقال إن المهمة التى يراد من أجلها تستدعى سفره الى أمريكا بالجواهر وأن حياته قد تتعرض للخطر فى بعض الاسفار . وقال رئيس المصرف لروى إنه لاينصح له بقبول هذه الخدمة . ولكن روى قبلها بغير تردد . وفى الاسبوع التالى كان فى الطريق الى أمريكا .

ولما انتهت مهمته فى الولايات المتحدة تلق برقية بالذهاب إلى جنوب أمريكا . وما كاد ينتهى إليها حتى أرسل إلى جزر المحيط الهادى . وها هو ذا الآن يعود إلى انكلترا وقد زيد أجره إلى ألف جنيه فى العام مع إنه لم يمض عليه غير عام واحد .

وجلس روى ناظراً إلى البحر وفى يده خطاب مونا . وكانت الأسفار الطويلة قد شحذت من عزيمته وقوت إرادته واكتسب صوته لهجة الآمر وفقد تلك اللهجة الضعيفة التى أفادها وهو كاتب . وبعد أن فض الغلاف وجد نص الرسالة :

« عزيزى روى

لقد سررت عندما علمت بخبر عودتك، ولكن الموعد الذى اتفقنا عليه منذ عام يصح ألا ينظر إليه نظرة جدية ؛ فان أصررت فانى سأحافظ عليه وإن كنت أفضل العكس . وإننى أتمنى لك كل خير

المخلصة : مونا

تأوه روى تأوه الألم، وكان فى حياته الماضية قد اعتاد مقابلة الآلام منتظرة أو غيرمنتظرة فلم يجد مفاجأة أشد على نفسه من هذا الخطاب . وقد كان وفياً لمونا بالقول وبالفعل منذ افترقا، وكان يعتقد أنها أيضاً وفية له . وهاهى ذى لهجة خطابها تدل على السأم، فهى بلا شك استعاضت عنه برجل آخر . ولكن هل فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة ؟ إن العالم قد تقدم وصار فى الامكان أن ينسى المرء من يحبه وأن يحب سواه بأسرع مما يستطيع وضع حذاء ونزع حذاء .

وجلس إلى المائدة فكتب :

« عزيزتى مونا :

إننى آسف على انتهاء قصتنا على هذا الشكل ، ولكنى لا ألومك فلك مطلق الحرية . وأتمنى لك حسن الحظ

المخلص : روى

— ٣ —

لم يكتف بكتابة الخطاب وإرساله على هذا الشكل . ولكنه عزم على أن يبتعد عن المدينة فى يوم ٢٣ إبريل حتى لا تضعف إرادته فيذهب فى الموعد . ولما كان اليوم قريباً فقد حصل من رئيسه

على أجازة قدرها أسبوعان . وذهب إلى الريف محاولا نسيان المدينة ومن فيها

وفى يوم ٢٣ ابريل وصلت إليه برقية يدعوه فيها رئيسه إلى الحضور لأمر هام فسافر إلى لوندرا ووجد رئيسه فى انتظاره بالمحطة . ومشى معه الرئيس فى الطريق قائلاً إنه يريد مخاطبته فى شأن هام . ولم يزل يسير به حتى وصلا إلى نفس المشرب المعهود أمام البرلمان . وكانت الساعة الثالثة إذ ذاك، وهذه مصادفة من المصادفات التى تقع فى الحياة الحقيقية أكثر من وقوعها فى القصص .

جلس روى فى هذا الفندق وهو يقول إنه لا ضرر فى ذلك فان مونا لن تأتى . ولكنه مع تأكيده لنفسه بأنها لن تأتى فقد كان فى أعماق قلبه يتمنى مجيئها . وكان يتمنى لو يمكن التوفيق لأنه فقدها بسبب الغيرة . ولم يكن بينها وبينه منازعات . وكان يتساءل : أى الناس هو الذى حبته قلبها بعد روى ؟ هل هو هانسون ميدواى ؟

وعندما خطر اسمه بباله قطب حاجبيه ولدعه الشعور بالغيرة مرة أخرى . ولم يمطه جليسه السير جون فرصة طويلة للتفكير فانه كان فى هذه الأثناء يشرح له المشروع الجديد وهو أن يحل محله فى إدارة العمل بلوندرا لأنه سيسافر إلى الخارج رعاية لصحة زوجته ، وقد تكون إقامته فى الخارج دائمة . ثم أخرج السير جون ساعته فجأة وقال إنه سيغيب الآن قليلا لاضطراره إلى مقابلة وزير المستعمرات .

ومشى تاركا روى وحده على نفس المنضدة .

وكان قد بقى شىء قليل على حلول الساعة الرابعة فدق الجرس ليدفع الحساب . وجاءت خادمة المشرب والتفت اليها روى فاذا هى مونا . . .

وهكذا تقابلا فى نفس الموعد ولكن عن غير قصد .

قال : « مونا ! ماذا حدث فى العالم حتى أصبحت خادمة مشرب ؟ »

فقالت : « أشكر لك المجىء فى موعدك . ولقد قدمت لك ولصديقك الشاى منذ ساعة ، وكنت أظن أنك ستنصرف دون أن تعرفنى »

وأراد أن يلقى عليها السؤال مرة أخرى لتجيبه عن سبب مجيئها إلى هنا ، فدخل « زبون » آخر واضطر روى إلى الصمت على أمل أن تعود الفتاة اليه ولكنه تبين أنها لا تريد أن تعود وأنها خادمة حقاً فى هذا المكان . وصمم على معرفة الحقيقة فذهب إلى أمين الخزانة ودفع النقود وسأل متى يغلق المشرب فقيل له فى الساعة السابعة .

وخرج فجلس فى مكان آخر يراقب منه الباب وهو يقول إن مونا ستكون لى الآن أولا تكون لى أبد الدهر .

وأخيراً أغلق الباب وخرج بعض الخادمات . ولكن مونا لم تخرج فقال فى نفسه وهو يبتسم: لعلها تأخرت توقعاً منها أن أكون فى انتظارها »

ثم خرجت فقابلها وقال : « لابد لى من التحدث معك يامونا فما معنى هذا ؟ »

فنظرت اليه طويلا وقالت : « ليس عندى ما أقوله . لقد كتبت لك بأنى أفضل عدم مجيئك

ولكن لا أعرف ماذا جملك تأتى »

وأصر على أن تروى له قصتها فقالت إن أباها أفلس وترك مجلس النواب لان هانسون كان نصاباً وجره إلى خسائر مالية نشأ عنها الافلاس ثم تركه .

وكان روى يصغى وهو متأثر ثم قال : هل أنت مخطوبة ياموناً ؟ »

فقالت : « لا »

قال : « إذن فلنبدأ عهدنا من جديد »

فقالت : « كلا ! لقد طلبت اليك عدم المجيء حتى لاتستثير الذكريات المؤلمة . وانني لمسرورة من مركزي الحاضر وان كان الأجر فيه قليلا »

فلم يتمالك نفسه من الابتسام لأن مونا المتأنقة المرفهة ليست هي التي تعيش معيشة الخادمة مسرورة راضية وقال : « كل ما فات فقد مات . وسنتزوج بأسرع ما تستطيعين فأين تحبين أن نسكن ؟ لقد أصبحت الآن فى حالة حسنة

قالت : « مستحيل يا روى فاني لما كنت غنية وكنت أنت لا تملك شيئاً بلغ من حماقتى أننى ...

ثم سكتت وأذرفت من عينيها الدموع

وبدأت السماء تمطر، ثم اشتد المطر على حين فجأة فاستدعى سيارة وطلب إليها أن تركب فقالت : « إلى أين ؟ أنت لا تعرف أين أقيم »

وركبت وأسرعت السيارة فقال رداً على سؤالها : «ليس هذا مهماً فقد أمرت السائق بأن يستمردون أن يقف حتى أحصل منك على وعد بالزواج »

عبد اللطيف النشار


الطـــــائرة

اسرع وألطف وسيلة للسفر من مصر إلي العراق وبالعـــــكس

عن طريق فلســـــطين

سافروا بالسلامة على طائرات

( شركة مصر للطـــيران )

خصم ١٠ ٪ على تذكرة الاياب دائماً

الاستعلامات وحجز التذاكر من أي مكتب سياحة أو من مركز الشركة بألماظة

# النار المقدسة

للكاتب الانجليزي ولزنكوت
بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

ولو أن بارونات أرنهيم كانوا يهتمون أبا عن جد بالعلوم الروحانية إلا أنهم كباقي النبلاء الألمان حربيون مولعون بالصيد . تلك الصفات كانت ممثلة في البارون هرمن دارنهيم جد آن دوجيرستين لأمها ومن كان يفخر بأنه يملك أفخم الاصطبلات وأكرم جواد للسباق في ألمانيا ، وإني أترك وصفه وأكتفي بالقول بأنه أسود كالسبج (حجر كريم أسود) وليس به شعرة واحدة بيضاء لا في جبهته ولا في أرجله . ولهذا السبب ولكونه حاد الطبع أسماه صاحبه (أبوليون) هذا مما زاد الاشاعة الدائمة عن بيت أرنهيم تأكيداً لأن البارون أطلق اسم أحد الشياطين على جواده .

وفي ذات يوم من نوفمبر ذهب البارون إلى الغابة ليصطاد ولم يرجع إلا عند ما خيم الظلام ولم يجد شيئاً جديداً في القصر أو زائراً غريباً . لأن البارونات ما كانوا يقابلون في قصورهم غير من يتوسمون فيه العلم والمعرفة ليزيدوا معلوماتهم .

كان البارون جالساً وحده في بهوه وبيده كتاب لا يستطيع هو أو غيره أن يقرأ حروفه ، وكانت يده الأخرى متكئة على مائدة من الرخام وعليها زجاجة من نبيذ توكي ، وفي آخر هذه الغرفة يرى حاجب واقفاً وقفة احترام ، وقد ساد السكون ولم يسمع غير زفيف رياح الليل كأنها تئن بنغمة حزينة حينما تمر بعيون الزرود الصدئة والأعلام الممزقة التي يتكون منها آيات هذا القصر الذي بني في عهد الاقطاعيات .

وعلى حين غفلة سمع وقع أقدام سريعة على السلم وكأنه يرتعد ، ثم فتح الباب بعنف وظهر جسبار رئيس اصطبلات البارون والرعب باد على وجهه وهرول إلى منضدة سيده وهو يصيح :

— سيدي ! سيدي ! إن شيطاناً في الاصطبل .

— ما معنى هذا الجنون ؟ ثم وقف البارون واستاء من هذه المقاطعة .

— إنني أكون في حل من عاقبة غضبك إن كنت أقول غير الحق ، وإن ابوليون . . .

ثم سكت لحظة

— تكلم أيها الأحمق فإن الرعب قد أفقدك صوابك ! هل أصاب جوادي مرض أو وقع له حادث ؟

وكل ما استطاع أن يتفوه به أن كرر (أبوليون) !

— وإذا كان (أبوليون) موجوداً فلا داعي لكل هذا الفزع

— إن الشيطان بجانب أبوليون

— يا لك من معتوه . ما الذي ذهب بحجاك . إن رجالاً مثلك ولدوا ليقوموا بخدمتنا يجب عليهم أن يتغلبوا على كل صعوبة . ثم قام واتجه إلى الاصطبلات وكانت في الطرف الأخير من القصر وبها خمسون جواداً للسباق من كرام الخيل مربوطة على صفين وبجانب كل جواد أسلحة الهجوم والدفاع بحالة جيدة . دخل البارون وخلفه خادمان وهو دهش من هذه الاستغاثة الغريبة وسار بين صفي الخيل إلى

أن اقترب من جواده المفضل الذى كان فى طرف الاصطبل فلم يصهل الجواد ولم يحرك رأسه ولم يضرب برجليه كعادته حينما كان يعبر عن فرحه بمقدم سيده، بل اكتفى بالأنين كأنه يستغيث بسيده. رفع هرمن مشمله، فوجد رجلا كبيرا متكئاً بيده على كتف الجواد

— من أنت ؟ وماذا تصنع هنا ؟

— أبحث عن ملجأ وضيافة، أتوسل إليك بكتف جوادك وفرند سيفك، جعلهما الله لك عوناً على الشدائد !

— إنك إذن من إخوان النار المقدسة، ولا أستطيع أن أرفض طلبك احتراماً لمذهب السحرة القدسى. إنك تطلب حمايتى خوفاً ممن، ولأية مدة ؟

— خوفاً من الذين سيبحثون عنى هنا قبل صياح الديك، لمدة سنة ويوم تبدأ من هذه الساعة.

إن قسمى وشرفى لا يسمحان لى بالرفض، وسأحميك، وسيكون قصرى مأواك وستجلس إلى مائدتى وتشرب نبيذى، كما أنك يجب عليك أن تحترم أوامر زرادشت إذ قال: « فليحم القوى الضعيف » كما قال أيضاً: « فليعلم الحكيم من هو أقل منه علماً ».

إنى القوى وستكون فى حماى، وأنت الحكيم ويجب عليك أن تعلمنى الأسرار الخفية

— أريد أن تلهو على حساب خادمك، وإذا كان دانيشمند يعرف شيئاً يفيد هرمن فان تعليماته تكون كتعليم الوالد لولده

— أخرج إذن من مخبئك؛ وإنى أقسم بالنار المقدسة التى تعيش بدون إسعاد أرضى وبالاخاء الذى يسود بيننا، وكتف جوادى، وفرند سيفى لأحمينك عاماً ويوماً بقدر ما تسمح به سلطتى.

خرج الغريب من الاصطبل ولم يدهش الذين شاهدوا زيه الغريب كثيراً مثل ما فزع منه جسبار حينما رآه فى الاصطبل دون أن يعلم من أين دخل. وحينما أدخله البارون إلى البهو وتلقاه بترحاب واحترام. وقد لاحظ فى ضوء المشاعل أنه رجل طويل القامة يلبس ثياباً أسيوية أى قفطاناً أسود كالذى يلبسه الأرمن وقلنسوة مربعة عليها عمامة سوداء من صوف اصطراخان، وكانت ملابسه جميعها سوداء، وقد تدلت على صدره لحية بيضاء فزادت وضوحاً وسط هذا السواد، وبوسطه حزام من حرير أسود علق به خنجراً وسيفاً قصيراً مقوساً فى غمد من الفضة، وكان متحلياً بخاتم من الياقوت كبير الحجم تتلألأ منه أشعة لطيفة. ثم قدم له البارون الحلوى والمرطبات فقال له:

— لا أستطيع أن أكسر لقمة أو أضع نقطة من الماء فوق شفتى إلا بعد حضور المنتقم أمام بابك.

ثم أمر البارون بايقاد المصابيح وزيادة عدد المشاعل ثم قال لجميع رجاله: إذهبوا لتستريحوا. ولبث وحده مع الغريب.

وفى منتصف الليل تزعزعت أبواب القصر، وسمع لها صوت كصوت الأعاصير الهوج، وسمع صائح يقول: أسلموا إلى أسيرى دانيشمند بن على. ثم سمع بواب القصر صوت نافذة تفتح وعرف صوت سيده وهو يخاطب الصائح المنذر وكان الليل حالكا فلم يستطع أن يميز أحد المتكلمين، وكان الحديث بينهما بلغة غير مفهومة.

وبعد خمس دقائق استأنف الصائح حديثه باللغة الألمانية قائلا:

— إذن أؤجل تنفيذ حتى سنة ويوماً بشرط أن أنفذ الواجب وألا ترفض بعد ذلك أو تعارض فى تنفيذه.

ومن هذا اليوم استقر الفارسى فى قصر أرنهيم

ولم يتمد بابه ، وقد ركز لهوه وعمله فى مكتبة القصر ومعمل البارون الذى يشتغل معه فيه عدة ساعات متتابعة .

لم يجد سكان القصر فى سيرة الساحر الفارسي نبأ يلام عليه ولكنهم لاحظوا أنه لم يقم بشيء من شعائره الدينية كما أنه لم يحضر أية حفلة دينية . وفضلا عن ذلك كان دانيشمند مواظباً على صلاته الفردية وقد صنع مصباحا من الفضة بشكل بديع ووضعه على عامود صغير من المرمر ونقش على قاعدته سطوراً أشبه بالهيروغليفى ، ولم يعلم أحد إلا البارون بأى مادة كان يغذي هذا المصباح لأن لهبه كان نقياً جداً يفوق أنواع اللهب المعروفة بعد الشمس .

وقد لاحظوا على الغريب أنه فى غاية الحشمة والشدة ، كثير الصوم والصمت لايحادث إلا البارون عند الضرورة ، كان كريماً لايعوزه المال فلذلك احترمه الخدم دون خوف .

أعقب الربيع الشتاء وأتى بعده الصيف فتفتحت أزهاره ثم أقبل الخريف بثماره فنضجت وتساقطت وكان بالمعمل حاجب يساعد البارون عند الحاجة إليه وقد سمع الفارسي يقول للبارون :

— يحسن يابنى أن تصغى إلى أقوالى لأن الدروس التى ألقيتها عليك تنتهى الآن ، ولا سلطة فوق الأرض تستطيع أن تؤخر طويلا ماقدر على" .

— وا أسفاه يا أستاذى ! أيجوز أن أحرم دروسك حينما أحتاج ليدك لتضمنى فوق ذروة معبد الحكمة !

— لاتيأس يا ولدى فستقوم ابنتى بإتمام دراستك حتى تبلغ الغاية ، وستحضر هنا لهذا الغرض . ولكن تذكر جيداً أنك إذا أردت أن تخلد اسمك وجب عليك أن تحفظها عندك كساعدة لتعليمك . وإن كان جمالها ينسيك أنها ما خصصت إلا لتعليمك فانك ستقبر مع سيفك وفرسك وتكون آخر سلالة بيتك من الذكور، وستحدث لك مصائب أخري لأن هذا الزواج لاتنتج منه نتيجة سعيدة .

— صه فانهم يراقبوننا .

ولما أتم دانيشمند إقامته فى القصر خرج منه راكباً جواداً كالسياح وودعه البارون والأسف ملء فؤاده ، فطمأنه الحكيم وقال له بصوت منخفض سمع منه هذه الجملة :

— ستكون على مقربة منك وقت ظهور أشعة الشمس الأولى فاعطف عليها ولكن لا تتورط فى عطفك .

ثم سافر بعد هذه الكلمات ، ولم ير بعد هذا اليوم ، ولم يتحدث عنه أحد فى ضواحى القصر .

وخلافا لعادته جلس فى البهو الكبير ولم يدخل المكتبة ولا المعمل الذى حــرم التمتع فيه بمصاحبة أستاذه . وبعد ماغسل وجهه وأصلح من هندامه انتظر إلي أن ظهرت أشعة الشمس ودخل معمله وخلفه أحد الخدم فوقف على الباب لحظة وفكر في صرف خادمه ، وردد فى فتح الباب ثم صمم على الدخول كمن ينتظر أن يرى شيئاً غريباً . وحينما دخل وخادمه وراءه، دهش من المفاجأة الغريبة التى واجهها بشيء من الذعر لأنها وإن كانت عجيبة ولكنها محبوبة تسر الناظرين .

لم ير البارون المصباح الفضى على قاعدته بل شاهد مكانه غادة فتانة مرتدية حلة فارسية قرمزية اللون حاسرة الرأس كستنية الشعر وقد عقدته بشريط أزرق وثبتته بأعلى جبينها بمشبك ذهبي يزينه فص من عين الشمس (١) المتعدد الألوان وكان يعكس بين ألوانه لوناً أحمر كالنار .

(١) حجر كريم يسمى بالفرنسية Opale

كانت هذه الفتاة متوسطة القامة ممشوقة القد باعتدال وجمال ورشاقة، تلبس سراويل فضفاضة ربطت أطرافها فى كعبيها، صغيرة الرجلين، وترى تحت طيات ثوبها ذراعان ويدان آية فى الجمال والانسجام، وكانت سحنتها تدل على النشاط وقوة التعبير وحدة الذكاء، ولها عينان سوداوان يعلوهما حاجبان انتظم قوساها وتزججت أطرافهما، وفم صغير وشفتان قرمزيتان علاهما الابتسام الخفيف كأنهما توشكان أن تتلفظا بالقول.

ويظن لأول وهلة أن الكرسى الذى كانت واقفة فوقه لايستطيع أن يقل حملا جسيماً ولكنها كانت عليه فى غاية الطمأنينة والخفة كعصفور حط من الجو على فرع وردة. وحينما دخلت أشعة الشمس الأولى من النافذة المواجهة لهذا الكرسى زادت هذا التمثال الحى بهاء وجمالا، وكانت ساكنة كالمرمر، ولم تظهر أنها لحت حضور البارون إلا بسرعة تنفسها واحمرار خديها وابتسامها الساحر الهادىء.

لم يكن البارون يتوقع أن يصادف مثل هذا الجمال الفتان فانبهر عند مشاهدتها ولبث لحظة ساكن الحركة، وأراد أن يحسن مقابلة زائرته فتقدم إليها باسطاً ذراعيه ليساعدها على النزول ولكنها لم تقبل منه غير مساعدة يده وقفزت بكل خفة على الأرض كأنها من الكائنات الجوية ثم قالت:

— لقد جئت طوعا للأمر الذى تلقيته ويجب أن تثق أنك ستجد منى معلمة جادة، وآمل أن أرى فيك التلميذ المجتهد المتيقظ.

وبعد حضور هذه الغادة الفتانة حصل تغير عظيم فى قصر أرنهيم. قبلت إحدى السيدات وهى ابنة كونت من أقارب البارون أخنى عليها الدهر أن تشرف على خدام القصر، وابتعد الشبهة التى يلصقها به الناس من وجود هذه الفتاة التى أطلق عليها الناس اسم الحسناء الفارسية. فكانت الكونتيس ولدستيتن لا تفارق البارون حينما يتلقى دروسه من هذه الفتاة التى حلت محل الساحر الشيخ، فكان يدرس معها فى المكتبة أو فى المعمل. وكانت أعمالها غريبة جداً، كانت ترعب بها بعض الأحيان البارون، وكانت المعلمة لاتقبل مطلقاً أن تعمل شيئاً محرما بل كان علمها لا يتعدى الحلال المشروع.

كان أسقف بمبرج يعد حكيما عظيماً فى مثل هذه المواد فزار قصر أرنهيم ذات يوم ليقف على مبلغ ماوصل اليه علم الفتاة هرميون التى ذاع صيتها فى جميع البلاد التى يرويها الرين. وحينما دارت بينهما المناقشة تحقق من تبحرها فى علوم الدين وقال إنها دكتور فى التوحيد تلبس ثياب راقصة شرقية، وإنه كان يعتقد أن ماقيل فى شأن هذه الفتاة مبالغ فيه فتحقق أنه لايبلغ نصف حقيقة فضلها.

وهذه الشهادة التى لا تجرح قد وضعت حداً للاشاعات السيئة التى دارت حول الحسناء الأجنبية حتى حازت أخيراً عطف الجميع.

وقد حصل تطور جديد فى مقابلات المعلمة وتلميذها فكانت دائماً بتحفظ واحتياط ولم تقتصر على المكتبة والمعمل. فكانا ينشدان اللهو والتسلية فى الحدائق والصيد فى البر والبحر ويحييان الليل فى الرقص.

كانت هذه الفتاة حلوة الشمائل فتانة شائقة الحديث حادة الذكاء فى منتهى اللطف والوداعة والكرم، وقد وزعت على صديقاتها كثيراً من الحلى

كانت بارعة فى الرقص لخفتها ومهارتها فلا يعتريها أى تعب مهما طال الرقص حتى أن أمهر الراقصين لايستطيع أن يجاريها.

وحينما كانت تجهد نفسها فى الرقص أو الرياضة ويتورد خداها كانوا يزعمون أن فص عين الشمس

الذي يزين مشبك شعرها ولايفارقها يتطاير منه شرر وألسنة من نار . وقد لاحظ عليها خادمها أنها حينما كانت تغضب يحمر هذا الفص العجيب كأنه يقاسمها تأثرها ، وكانت تتجنب أن تبله بالماء .

ولم تمنع هذه الأقاويل البارون من اقترانه بهذه الفتاة الجذابة وقضاء شهر الزفاف على أفخم شكل . وعاش الزوجان في هناءة وسعادة . وبعد عام ولدت بنتاً أسمتها سيبيل كاسم والدة البارون ، ثم حددوا ميعاد حفلة التعميد حين تماثل الوالدة للشفاء . ثم دعي الناس من كل فج وازدحم القصر بالأفواج .

وكانت بين المدعوات سيدة عجوز تدعى البارونة ستينفيلد اشتهرت في كل مكان بفضول غريب وصلف وقحة ؛ ولم تمض عليها بضعة أيام في القصر حتى جمعت لها خادمتها كل الإشاعات التي ذاعت في القصر عن البارونة هرميون .

وفي صباح اليوم المحدد للتعميد والناس مجتمعون في البهو ينتظرون ربة القصر ليذهبوا إلى الكنيسة شجر خلاف بين البارونة التي سبق الكلام عليها وبين الكونتس ولدستين لأسبقية المقام فحكموا البارون ليفصل بينهما فحكم لصالح الكونتيس . فغضبت البارونة وأمرت باحضار جوادها في الحال ثم ركبت هي وأتباعها وقالت :

— إنني أترك قصراً لا تقبل مسيحية صالحة أن تدخله . أغادر قصراً صاحبه ساحر وصاحبته شيطانة تخشى أن تبل جبينها بالماء المبارك .

ثم تقدم البارون بضع خطوات وقال: أيها الفرسان والنبلاء ! هل فيكم من يشهر سيفه ليزكي كذب البارونة الفاضح الذي تقايأته ضد زوجي وقريبتي .

رفض الجميع أن يدافع أحد منهم عن افتراء البارونة ستينفيلد وأعلنوا أنه كذب وادعاء .

وبينما كان البارون يتكلم كانت الكونتس ولدستين تصدر منها إشارات قلق وحيرة ، ولما انفضت الجماعة من حوله اقتربت منه وقالت له : كن بصيراً ولا تعمل شيئاً فيه مجازفة ، واعلم أن فص عين الشمس فيه سر عظيم غريب .

— هل أنت أيضاً حمقاء ؟

وفي هذه الآونة دخلت البارونة ووجهها شاحب من النفاس فسلمت على المدعوين ثم أقبل البارون ورجا منها أن تدعو الحضور للذهاب إلى الكنيسة وكان الصبي محمولاً على محفة فاخرة تحملها أربع فتيات .

ولما دخل البارون الكنيسة غمس أصبعه في ماء المعمودية ودهن جبين البارونة وأراد أن يفند افتراء البارونة ستينفيلد بطريقة غير ظاهرة فأسقط نقطة من أصبعه على الفص فانفجر منه لهب متوهج كالشهب الساقطة وفقد لألاءه وأصبح كالحصاة ؛ وسقطت في الحال البارونة على رخام الكنيسة وهي تئن أنيناً شديداً من الألم . ذعر المدعوون من هذا المشهد وحملوا البارونة إلى غرفتها . وفي هذه الفترة القصيرة حصل تغير عظيم في ملامحها وضعف نبضها ثم رجت منهم أن يتركوها مع زوجها ، ثم جلس بجانبها ساعة وخرج وأقفل الباب بالقفل ورجع إلى الكنيسة وركع بكل خشوع أمام المحراب ساعة

وحينما أقبل الأطباء طلبت الكونتيس ولدستين من البارون مفتاح الغرفة فناولها إياه قائلاً : لا فائدة من أي إسعاف ؛ وطلب منها أن يغادر القصر المتخلفون

ولما فتحوا الغرفة لم يجدوا في السرير غير حفنة من رماد كالذي يتخلف من إحراق ورقة . وعندئذ أعلنوا الجنازة وأقاموا الشعائر الدينية .

وبعد ثلاث سنين ، وفي نفس هذا اليوم توفي البارون ودفن في ضريح الكنيسة بالقصر ودفن معه سيفه وخوذته وترسه وكان آخر الذكور من أسرته .

محمد كامل حجاج

# الثلاثة الزاهدون

للفيلسوف الروسي " ليوتولستوى "
بقلم السيد فخري شهاب السعيدي

كان الجو لطيفاً رائقاً ، والريح رخاء طيبة ؛ وكانت السفينة تجرى بركبها فى اطمئنان وسلام .. وكان فى جملة الحجاج إلى دير « شلوفتسك » أسقف قدم من « أركانجل » لزيارة ذلك الدير

وكان الركاب قد انتشروا على ظهر السفينة فبعضهم قد اضطجع ، وبعضهم جلس للأكل ، وآخرون منهم قداجتمعوا يزجون فراغهم بالحديث. أما الأسقف فكان قد نزل إلى ظهر السفينة وظل يخطر بين جماعات الركاب ، إلى أن استرعت نظره منهم جماعة ملتفة حول صياد[1] من صيادى السمك وهو يحدثهم ويشير إلى مكان فى البحر ... ووقف الأسقف ومد بصره إلى حيث كان يشير ذلك الرجل فما وجد شيئاً غير مياه البحر تضطرب تحت أشعة الشمس ، ودنا الأسقف من المحدث علة يسمع شيئاً ولكن ما إن رآه هذا حتى رفع قبعته احتراماً وانقطع عن الكلام ، فرفع الآخرون قبعاتهم أيضاً وانحنوا له ، فقال الأسقف :

— لا تزعجوا أنفسكم أيها الأصدقاء فما جئت لأكون سبب ذلك لكم ؛ إنما جئت كي أستمع ما كان يقوله هـذا الرجل الطيب

فأجابه أشجع الواقفين وكان تاجراً :

— إنه كان يقص علينا نبأ « الزاهدين » !

— وأى الزاهدين عنيت ؟ !

قال ذلك وذهب إلى جانب السفينة واتخذ مجلسه على صندوق كان هناك

ثم قال :

— خبرونى عنهم . أحب أن أعرف خبرهم وإلى مَ كنتم تشيرون ؟ !

فأجابه الرجل :

— أترى تلك الجزيرة الصغيرة هنـاك ؟ -- وأشار بيده ذات اليمين — إنها الجزيرة التى يعيش فيها أولئك الزاهدون الذين خصصوا أعمارهم لانقاذ أنفسهم !

— ولكن أين الجزيرة ؟ ! إني لا أرى شيئاً !

— هناك إذا تفضلت فاتبعت اتجاه يدى ... أترى تلك السحابة الصغيرة ؟ انظر ما تحتها إلى اليسار قليلا . تلك البقعة الدكناء هى الجزيرة

ونظر الأسقف فى جد إلى حيث كان الرجل يشير ، ولكن عينيه الضعيفتين ما كانتا تريان غير الماء يعكس أشعة الشمس

— لا أستطيع أن أراها ، ولكن من أولئك الزهاد الذين تتحدثون عنهم ؟

فأجابه صياد السمك :

— إنهم رجال مقدسون . اتصلت بي أخبارهم

(*) هـذه القصة وقصص أخرى جمعها مترجمها إلى الانكليزية على أنها بعض ما يرويه سكان مقاطعة « الفولجا » فى روسـيا من قصص شعبية ، تبين نفسياتهم الخالصة من التكلف والبغض ، وكان « تولستوى » قد ألف أقوال أولئك السكان فأخرج هذه الأسطورة منها دون أن يزيد عليها شيئا أو يحذف منها شيئا ، أو يضيف عليها تعليقا من عنده ( المترجم )

(١) لصياد السمك اسم عربى وهو « العركى » فلو استعمله الـكتاب واصطلحوا فيما بينهم عليه لشاع استعماله بين القراء

منذ أمد بعيد . غير أني لم أحظ بعلاقاتهم إلا إلى ما قبل عامين

ثم قص الصياد كيف كان أمره معهم حين ضل في إحدى الليالي ، فقذفه الموج إلى جزيرتهم دون أن يدرى . فلما أصبح الصباح وارتاد نواحي الجزيرة أبصر كوخاً من الطين ؛ ورأى فيه شيخاً طاعناً في السن قد وقف بالقرب منه ، ثم خرج اثنان آخران من الكوخ وبعد أن أطعموه وجففوا أمتعته من الماء ساعدوه على إصلاح قاربه المحطم

وهنا سأل الأسقف :

— وكانوا يشبهون ما ذا ؟

— كان أحدهم صغير الجرم ، منحنى الظهر ، يرتدى ما يرتديه الكهان ، وكان طاعناً في السن إلى حد كبير ، إذ ما أظنه إلا قد جاوز المائة من عمره حتى أن شعر لحيته كان قد خالطته الخضرة القاتمة من شدة الكبر ! وكان إلى ذلك باسماً وضاء الوجه ، كأن وجهه وجه ملك من ملائكة السماء. أما الثاني فكان أطول من صاحبه قامة ، وكان طاعناً في السن أيضاً ، وعليه رداء خلق مما يلبس الفلاحون ، ولحيته كبيرة قد ضربت إلى الصفرة من شدة البياض ؛ وقبل أن أمد لهذا الشيخ الفاني يد المساعدة انقلب إلى قاربي لحمله كأن لم يكن قارباً ضخماً بل دلواً صغيراً مما يحمل به الماء ! وكان هذا الآخر حنوناً شفيقاً . أما الثالث فكان طويلاً أيضاً ذا لحية بيضاء كالثلج ، قد امتدت وتشعبت حتى وصلت إلى ركبتيه ؟ وكان متجهم الوجه عابساً ، بحاجبين غليظين مشرفين على وجهه . وقد لف حول بدنه من الوسط حصيراً

فسأله الأسقف قائلاً :

— وهل تحدثوا إليك بشيء ؟

كانوا في أغلب الوقت لا ينبسون ببنت شفة ، وإن نطقوا — وقليلاً ما يفعلون — اقتضبوا الكلام فيما بينهم... إن أحدهم ليرمق الآخرَين بنظرة واحدة؛ فما أسرع ما يدرك هذان الآخران قصد صاحبهما !

وقد سألت أطولهم : هل كانوا قد استوطنوا الجزيرة من أمد بعيد ؟ فعبس وغمغم شيئاً كالغضب ولكن أكبرهم أخذ يده بين يديه وابتسم فسكن ثائر الطويل وأجابني الأخير بهذه الكلمات :

— « إن الرحمة والغفران لمن فوقنا ! »

وكانت السفينة اقتربت من الجزيرة حينئذ قليلاً ، فقال التاجر الذى بَادَأَ الأسقفَ الكلامَ — أول الأمر — :

— أنظروا يا صاحب السيادة — إن الجزيرة لتبدو الآن واضحة ، قال ذلك وأشار بيده نحوها .

ونظر الأسقف فأبصر بقعة دكناء حقاً .

— كانت الجزيرة — وبعد أن أطال إليها النظر غادر مكانه وذهب إلى من بيده « سكّان السفينة » فقال له :

— ما تلك الجزيرة ؟

— ليس لتلك الجزيرة اسم ، وفي عرض البحر مثلها كثير .

— أحقاً أن فيها زاهدين قد خلصوا إلى إنقاذ أنفسهم ؟

— إنه ليقال كذلك — يا صاحب السيادة — ولكني لا أدرى حظ هذا القول من الصحة ؛ وكثيراً ما زعم صيادو السمك أنهم شاهدوهم ، ولا ريب في أن ما يقولون محض تخرص وتلفيق !

— أريد أن أنزل إلى تلك الجزيرة وأرى أولئك الرجال ، فكيف السبيل إلى ذلك ؟

— إن السفينة لا تستطيع أن ترسو بجانب الجزيرة ؛ غير أنكم تستطيعون الذهاب إليها فى قارب، وخير من هذا أن تكلموا الربان فى الموضوع

وأرسل فى طلب الربان فجاء. فقال له الأسقف:

— أريد أن أرى أولئك الزهاد ، أفلا يمكننى الخروج إلى أرضهم ؟

وحاول الربان أن يقنعه بالعدول عن فكرته قائلا:

— أجل، إن ذلك فى الإمكان، ولكنه يقتضينا وقتاً جد طويل ! ولو تجاسرت لقلت لسيادتكم إن أولئك الشيوخ لا يستحقون كل هذا العطف منكم عليهم. إنهم مجانين مخرفون، لا يعون مما يقال لهم شيئاً ولا يفهمون ؛ ثم إنهم لا يزيدون كلمة على الأسماك التى فى البحر — إن كان للأسماك حديث ! —

غير أن الأسقف بقى مصراً على رأيه ، مقرراً أن يرام ، وتعهد أن يعوضهم عن كل ما يخسرون .. فلم يكن مما أراد بد ، وصدرت الأوامر إلى الملاحين بتوجيه السفينة إلى ناحية الجزيرة ، واتخذت لذلك التدابير ... وجئ بالكرسى فوضع فى صدر السفينة ليكون مجلس الأسقف عليه يرقب الجزيرة . وكان الركاب بجمعهم قد تجمهروا هناك فكان ذوو البصر الحاد منهم يرونها وصخورها ، ثم الكوخ الذى فيها ، حتى استطاع أحد المشاهدين أخيراً أن يبصر الرجال الثلاثة أنفسهم .

وإذ ذاك جاء الربان بمنظار وبعد أن مد فيه بصره سلمه إلى الأسقف قائلاً :

أولئك هم حقاً ! قد وقفوا على الساحل .. هناك إلى يمين تلك الصخرة الكبيرة قليلاً . وسلم المنظار إلى الأسقف ، وبعد أن مد فيه هذا بصره رأى الرجال الثلاثة — الطويل ، فالأوسط ، فالقصير المنحنى الظهر ، وقد وقفوا على الساحل متماسكين بأيديهم . وهنا التفت الربان إلى الأسقف قائلاً :

— إن السفينة لا يمكنها أن تتقدم إلى أكثر من هذا يا صاحب السيادة فتفضلوا فاركبوا زورقاً يوصلكم إليها إن شئتم ، بينا نرسو هنا فى انتظاركم وألقيت المرساة ، وأنزل الشراع ، فعمت من ذلك — السفينة حركة اهتزت لها ، ثم سكن اضطرابها فأنزل إلى البحر قارب ركبه بعض الملاحين وهبط الأسقف إليه معهم واتخذ مكانه فيه . ثم جدف الرجال فجرى بهم الزورق سريعاً نحو الجزيرة ؛ ولما وصلوا إلى ممر بين الصخور رأوا الشيوخ الثلاثة : طويلهم بحصيره التى التف بها ، ثم الذى يليه فى ثوب خلق من أثواب الفلاحين ، ثم أقصرهم ، وأصغرهم حجماً : محنى الظهر كبراً ، وقد لبس ثوباً مما يرتديه النساك وكان بعضهم ممسكا بأيدى بعض .

وتقدم اللاحون من الشاطىء واقتربوا منه ، فربطوا القارب به بينا صعد الأسقف إلى البر . وانحنى له الشيوخ الثلاثة ، فحياهم بمثل تحيتهم وقال يخاطبهم :

— لقد ترامى إلى أنكم رجال أتقياء ، تعيشون هنا لتخليص أنفسكم وإخوانكم الناس بالتضرع إلى سيدنا المسيح . . وأنا خادم غير ذى بال من خدمه دعتنى العناية الإلهية إلى إرشاد عباده ، وقد جئت لأراكم وأعلمكم ما أستطيع أيضاً . . فتبادل الرجال الثلاثة النظر بينهم وابتسموا ولكنهم لزموا جانب الصمت . ثم قال الأسقف :

— خبرونى ما أنتم فاعلون لإنقاذ أنفسكم ، وكيف تخدمون الإله على هذه الجزيرة ؟؟ فنظر أوسطهم إلي الكبير وتنفس الصعداء . فابتسم الأخير وقال يخاطب الأسقف :

— لاندرى كيف نخدم « الرب » إنما نحن نخدم أنفسنا ونتعهدها

— وكيف تصلون لله ؟

— إنا نصلى هكذا :

« أنتم ثلاثة

« ونحن ثلاثة .

« فارحمونا ! »

ولما قال الشيخ ذلك رفع الثلاثة أبصارهم إلي السماء وكرروا الجملة فتبسم الأسقف .

— إنكم على ما أرى قد سمعتم عن « الثالوث المقدس » ولكنكم لاتؤدون صلواتكم على الوجه الصحيح ؛ وأراكم أيها الأحبة تسمون إلى إرضاء بارئكم ولكنكم تجهلون الوسيلة إليه . فتعالوا أعلمكم طريقة الله التى أوصى عباده باتباعها فيما أنزل من كتب وأسفار مقدسة . وبدأ الأسقف يشرح للزهاد كيف جاء المسيح هادياً للناس ، ثم حدثهم شيئاً عن « الأب والابن والروح القدس » فقال :

— وقد نزل « السيد الأبن » إلى الأرض لينقذ الانسان ، وعلمنا أن نصلى هكذا . أصغوا ثم أعيدوا بعدى ما أقول :

— يا أبانا . . .

فقال أولهم « يا أبانا » وقال الثانى مثل قول الأول ثم أعاد الثالث قوليهما .

— . . الذي فى السماء . .

فأعاد أولهم الجملة الثانية صحيحة ولكن الثانى تلعثم بها ، أما الثالث فقد أخطأ ! إن الشعر كان قد نما حول فمه بحيث ما كان يستطيع أن يقول شيئاً بوضوح . وصاحبه الذى قبله : فقد كانت السنين الطويلة أسقطت كل أسنانه بحيث لم يكن فى مقدوره أن يمضغ طعاماً أو أن يقول شيئاً إلا غمغمة لاتبين ! !

وأعاد الأسقف الكلمات ثانية فكررها بعده الزهاد . . . ثم إنه جلس على صخرة كانت هناك حيال الثلاثة الذين كانوا يرقبون فمه ، مايصدر من قول إلا أعادوه .. وعمل الأسقف طيلة ذلك النهار ، يقول الكلمة . . . المرة والمرتين . . . والعشرين والثلاثين ، بل ربما قالها للمرة المائة أو تزيد ، فيعيدها الشيوخ الثلاثة بعده فاذا أخطأوا أعاد عليهم وأمرهم باعادة الكلمة من جديد .

ولم يغادرهم الأسقف حتى علمهم كل صلوات الله بحيث أصبحوا قادرين على إعادتها بأنفسهم — لا كما بدأوا يعيدونها بعد سماعها من فمه — وكان أول من تعلمها وتمكن من إعادتها بنفسه : أوسطهم ، فكان الأسقف يأمره باعادة تلاوتها مراراً حتى تعلمها أخيراً منه الاثنان الآخران ... وكان الظلام قدجثم على المكان وطلع القمر يريق أشعته على مياه البحر حين أوشك الأسقف أن يغادر الزاهدين إلى السفينة ؛ فسجد له الشيوخ شاكرين ، فأنهضهم وقبلهم واحداً بعد واحد ، وحثهم على اتباع تعاليمه فى أداء الصلوات ؛ ثم استقل القارب إلى السفينة .

وكان وهو فى القارب متجهاً إلى السفينة تطرق آذانه أصوات الثلاثة مرتفعة فى هدوء بالتراتيل التى علمهم ، ثم انقطعت أصواتهم عنه حين بلغ

السفينة ، وأما منظرهم فى ضوء القمر فكان بيناً واضحاً يستطيع أن يستجليه بوضوح ويسر . ذاك أقصرهم قد وقف فى الوسط والاثنان الآخران قد وقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره .

وما أن وصل الأسقف السفينة حتى رفعت شراعها وأقلعت ، فهبت الريح رخية ، واستؤنف السير .

... جلس الأسقف فى مؤخرة السفينة بقرب « سكانها » يراقب الجزيرة التى أقلعوا منها ... كان يرى — أول الأمر — الزهاد الثلاثة ثم اختفى منظرهم عنه ، فابقى غير الجزيرة ولكن هذه اختفت أيضاً فلم يبق أمامه غير البحر تضطرب أمواجه تحت أشعة القمر .

وأوى الحجاج إلى فرشهم فخلا ظهر السفينة إلا من الهدوء التام ؛ أما الأسقف فلم تكن فى نفسه إلى النوم حاجة ، ولكنه ظل حيث كان يحدق فى البحر ، فى المكان الذى اختفت فيه عن ناظريه الجزيرة ، مفكراً فى أولئك الشيوخ الثلاثة . . لقد كانوا ممتنين مما علمهم ؛ فشكر الله على أن أرسله ليهدى أمثال هؤلاء التقاة البررة !

ظل الأسقف جالساً فى مكانه كذلك يفكر فى هذا ومثله يحدق فى تلك الناحية التى غاب منظر الجزيرة فيها وضوء القمر يتلألأ أمام عينه يداعب أمواج البحر هذه مرة وتلك مرة، وإنه لكذلك إذ بصر فجأة بشىء أبيض مشرف يظهر على موقع قرص البدر من البحر ... أتراه طيراً من طيور الماء ؟ أم هو شراع إحدى المراكب الصغيرة؟ وأثبت الأسقف فيه بصره ما يحوله عنه ... لا بد أن يكون شراع إحدى السفن الصغيرة تجرى وراءنا ولكنى أراها تتبعنا سريعاً ، لقد كانت منذ لحظة بعيدة ، بعيدة جداً فما أسرع ما أدركتنا؟ لا، ليست هذه مركباً إذ ليس لها شراع — ولكنها مع ذلك جادة فى اقتفاء أثرنا ! — ولا هى من الطير ولا الأسماك ؟ ثم إنها أكبر من رجل ! وأنى لرجل أن ينزلق على الماء فى وسط البحر ؟

ونهض الأسقف نخبر «مدير الدفة فى السفينة»

— أنظر إلى هناك . ما ذاك يا صاحبى ؟ أى شىء هو ؟

... إنه ليرى الزهاد الثلاثة يركضون على الماء وضاحة وجوههم ، مشرقة طلعاتهم وقاربوا السفينة حتى لكأنها قد وقفت عن السير !

ونظر الربان فترك إدارة السفينة مذعوراً :

— يا إلهى ... أولئك هم ثلاثتهم يركضون خلفنا كما لو كان وجه الماء أرضاً صلدة ! وسمعه الركاب فهرعوا وتجمهروا حوله ... ما ذا يرون ؟ إن الزهاد ثلاثتهم قد أقبلوا وأيدى بعضهم تمسك بعضاً ... فأشاروا إلى السفينة أن تقف ، وقبل أن تتمكن السفينة من التوقف عن السير وصلوا إليها ورفعوا رؤوسهم قائلين بصوت واحد :

— لقد أنسينا تعليمكم يا عبد الله . إنا منذ أن تعلمناه بدأنا بتكراره ، ولكن سقطت منا كلمة ... ثم إنا نسيناه كله الآن فعلمنا تارة أخرى !

فاتجه الأسقف إليهم وانحنى يخاطبهم :

— إن الله ليتقبل صلواتكم التى كنتم تتوجهون بها إليه ! ليس لى أن أعلمكم شيئاً ، بل صلوا من أجلنا نحن المذنبين ! »

وانحنى لهم ، فرجعوا من حيث أتوا ...

واختفوا عن النظر ، ولم يبق من آثارهم غير شعاع كان آتياً من حيث اختفوا حتى أشرق ضوء النهار !

فخرى شهاب السعيدى

# تحت ظلال الشجر

للكاتب الانجليزي « ونسيس بيج »
بقلم الأستاذ فؤاد الطوخي

كوسارد يروي القصة ... وكوسارد رجل طويل القامة ، جميل الوجه ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ، ينبعث من ناظريه بريق يخلب اللب ، ويجري في عروقه دم هندي ، ولقد جاء مع والده إلى إفريقيا وبصحبتهما واحد ومائة من الهنود لينافس بهم عملا يقوم به واحد ومائة من الاغريق ورحل كوسارد إلى انجلترا ، وأقام فيها ردحا من الزمن ثم رجع إلى افريقيا وأحاط به يوما جماعة من الهنود وتحدثوا إليه في مختلف المسائل ثم نهض ملجان وسأله أن يطالعهم ببعض المغامرات ، وألح في الطلب والحف ، وأهاب به إخوانه أن يسكت ، وأوقفوا الجلبة حتى ينصتوا في هدوء لقصة كوسارد

— سأتلو على مسامعكم قصة لا يجد فيها ملجان المثل الأعلى للقصة التي تصبو نفسه إليها ولكنها شائقة ممتعة، وسأذهب بكم إلى منطقة من الأرض جرداء موحشة ليس فيها إنس ولا جان ، فتبصرون عند الأفق مزارع خضراء ، تتخللها حدائق غناء ، وتسيرون وعلى يمينكم فلاة تنتهي بكم إلى غدير صاخب ، وعلى يساركم جبال زرقاء خلو من الثلوج ، فالوقت صيف ، والشمس شديدة وهاجة تحرق الجلد وتذيب الثلج وقد آذنت بالغروب ، وبدأ الليل يرخي سدوله . فتقفون صامتين خاشعين بعد ما امحت آثار الحياة وضجيج الحركة ، ولا يبقى أمامكم إلا جلال الطبيعة وروعتها ، فلا يسعكم إلا التسبيح لله على ما خلق وأبدع ثم تطيف بكم غلالة سحرية فتستحيلون إلى كائنات صماء كقطع الأحجار التي تكتنفكم ، وتغيب الشمس الافريقيه وراء الأفق فتغيبون عن الوجود ، وتكادون تفنون فيما حولكم من نجاد ووهاد ، وإذا البحر من بعيد يكشف عن صفحة من لجين ، وإذا الجبال تتراءى منحدراتها بما يكسوها من الورد القاني ، وإذا السماء فوقنا تتيه بزرقتها الصافية الأديم ، وتوغل في الارتفاع طبقات بعضها فوق بعض ، وتحسون بالأرض الدافئة من تحتكم تخمد حرارتها شيئاً فشيئا ، وتومض الآفاق بقبس من الوهج الأحمر وهي تتلقى آخر أشعة من ضوء الشمس المنحسر ، ثم تنبو عنكم الغشية فتستيقظون وتعودون إلى الحياة ، وتمدون وتمرحون وتهبطون وتعلون ؛ وإذا بالليل يهيمن على الطبيعة ويمد ظلاله فوق أرجائها ، فترحلون إلى كوكب جديد . فها هي ذي صفحة السماء تتلألأ في جنباتها شموع النجوم ، وها هي سفوح الجبال يلمع وراءها بريق أبيض يبدد حلكة السواد وظلمات الليل البهيم ، ويزداد الضوء لمعانا وظهورا حتى يتربع القمر في كبد السماء وتهب نسمات الليل فتنعش أرواحكم بما تحمل من عبير الورد وأريج الأزهار .. تلك الطبيعة برمتها ، بنجومها وقمرها وبحارها وجبالها إنما هي ملك أيمانكم .

وها كم قصتي ، هي قصة رجل وامرأة . . . وامرأة أخرى . وسأنتقل بكم إلى مكانهما في سفح الجبل حيث صعدا . . أما الرجل فقوى البنية ممتلىء الجسم مليح الوجه ، هولاندي النبت . . والمرأة في مقتبل العمر وريعان الصبا وفرط الحسن والجمال.

وقف كلاهما على سفح الجبل ، وأشعل الرجل ناراً في كهف مخضوضل الجوانب ، وكانت المرأة

جافة الخلق ، فحمل الرجل فى كفيه ماء من ينبوع وتقدم إليها فروت ظمأها ثم وضعت رأسها فوق يديه كأنها تحاول إخفاء نفسها عنه ، وكان صدرها مفعماً بالشجون والخواطر المحتبسة ، فأطلقت لها العنان وطفقت تبكى والدموع تنهمر من عينيها فوق يديه فهدأ روعها وطيب خاطرها وسألها :

— ماذا يبكيك ياحبيبتى . . أتخافين ؟

— كلا ، كلا . لست خائفة

وظهرت فى خلال دموعها ابتسامة ، وداعبت شعرها ، ونظرت إليه بدلال ورشاقة ، ثم عانقته وعادت فنفرت منه وابتعدت عنه ، وقالت :

— هذه مخاطرة مروعة

— ما الحب إلا مخاطرات

— ولكنى كذبت فى قولى فى الفندق ، ومنذ شهرين فقط لم أكن أعرفك وأحبك ، ولا أدرى كيف جرى ذلك ، ولم جئت إلى هنا ؟ وماذا يظن والداى الآن ؟ هل يظنان أنى أعيش على سفح جبل ؟ ومع من ؟ مع رجل متزوج ويستحيل أن يطلق زوجته . . ولماذا لم أعرفك قبل زواجك ؟ !

— أنظرى ياعزيزتى ! لقد صنعت القهوة ، فهيا نطهى طعام العشاء .

وجلسا يشربان القهوة ، وكانت لذيذة . وخرجت الحشرات من ثقوبها تنصت ، وتمايلت الأشجار ، واستوت النجوم الوضاءة فى السماء وهبت نسمات فيحاء وساورتها الهموم ، وقالت بصوت غير مسموع لنفسها :

— هى أن أختى جاءت إلى هنا . . هى أن أحد الناس رآنى . . هى أن زوجته تفقدته فلم تجده وحضرت تبحث عنه . . هى . . هى

وداعب شعرها فشعرت بيده ، وتملكها السرور واتكأت عليه وقالت :

— دعهم يذهبون إلى حيث يشاءون . . فما شأنهم بنا . . نحن فى إفريقيا المحبوبة الرائعة . . دعهم يذهبون فى سبيل هذه الليلة الساحرة ، وفى سبيل الرجل الوحيد الذى أحبه . . أحبه .

وكانت ولهانة مفتونة به إلى حد الجنون ، تذيبها لمسة ، وتروعها نظرة فدنياها أحلام ، وجسدها لهيب .

وتمذر عليها أن تحدثه فى أمر ، إذ كانت زفراتها تتصاعد تباعاً بقوة من صدرها فأدناها منه وداعب شعرها وهمس : — أنت لاتحبيننى !

— كلا ! إنى أحبك

فقبلها فى عينيها وفمها وعانقها ، فغشيتها غبطة عميقة من الهيام ، فصمدت إلى وجهه وطبعت عليه قبلة ضخمة وعادها مايشبه الأحلام ، ثم تنبهت فأفاقت ورجعت إلى صوابها ، ومرت بخاطرها صورة من ذكريات ماضية فوجمت وخجلت ووجلت ، وامتد خيالها إلى أبيها ، فرأته يدخن غليونه ، وإلى أمها فوجدتها تحيك لها معطفاً ، فنفرت وتباعدت عنه وأدارت وجهها إلى ناحية أخرى ، فدهش وسار نحوها يستعطفها ، ثم ذهب إلى الكهف وأخذ يحرك النار المشتعلة ، أما هى فأنشأت ترقب الأفق والسماء ، وإذا بكوكبة جديدة من النجوم تبزغ فى الجو وتسيطر على سائر الاجرام السماوية فتزيدها رواء وبهاء ، وأنصتت فسمعت خشخشة ورأت شيئاً يتحرك . . شيئاً مظلماً غريباً فذعرت وشهقت ونهضت ، فأبصرت معبودها واقفاً ممسكاً بمعصمه فتمتمت

— حية . . ؟ لا . . ليست حية

— لا . . بل هى حية حقاً

— لم أر شيئاً كهذا فى حياتى . . لا . . رأيت مايشبهها فى حدائق الحيوانات .

وساد سكون رهيب . . ثم قطعته قائلة

— ماذا تصنع ؟ بل ماذا أفعل . . وارتجفت وحارت فى أمرها ، ودقت بديها ، وخارت قواها وهالها الموقف حتى صعقت

وبدأ يمتص معصمه فأقبلت نحوه فنعها ، ثم

انهالت على يده الجريحة وأمطرتها وابلا من القبل وهى ولهى خائفة دامية القلب فقال لها :

— إذهبى إلى الكوخ القائم فى أسفل الجبل ، واطلبي المعونة من صاحبه فعنده ترياق ودواء .

فمشت مسرعة فى الممر فى طريقها إليه، ولكنها ما لبثت أن توقفت وفكرت فى افتضاح أمرها لأن الرجل سيعلم كما سيعلم أولاده، ثم ماذا يكون حال مامع أبيها وأمها، فعادت واسترسلت فى التفكير فتوهمت أن الرجل سيموت... سيموت فى الكهف، وستبقى وحيدة على الجبل حتى مطلع الفجر ، فصرخت صرخة مدوية فزع منها الطيور فى أوكارها فخرجت تحوم حول الجبل . أما هو فخاطبها فى لهجة حاسمة

— إما أنك تحبيننى أولا . لو كنت تحبيننى لذهبت توا إلى الكوخ

فصاحت وهرعت نحوه وعانقته وقبلته بوله وقالت:

— إني ذاهبة .. إنى ذاهبة .. وأخذت تعدو فى الممر فناداها فوقفت :

— تعالى

— كلا ، سأذهب لئلا تضيع الفرصة

— تعالى .. تعالى .. فقد كنت أعالج النار عند ما اقتربت منك وهرولت إليها فوجدتها من النوع الذى لا يؤذى ، فتركتها تمضى فى طريقها ، وقد اخترعت فكرة اللذعة لأختبر مبلغ حبك لى ، فأيقنت أنك تحبيننى حقا .. فتعالى .. تعالى إلى .. وضمها وقبلها قبلات حارة فى شغف وشوق .

أما هى فاسترجعت ونفرت ومرت على وجهها سحابة من الغضب والسخط والتوت أصابعها من شدة الحنق ثم واجهته فى كبرياء وأنفة

— إنى أكرهك .. أكرهك لخداعك إياى أيها الوحش المفترس . واستدارت وأخذت تهبط الجبل غير مكترثة بصيحاته وتوسلاته، فوثبت وانزلقت وتدحرجت فوق الأحجار حتى بلغت الأرض وسارت على غير هدى فى ليل إفريقيا المظلم وهنا قاطعه ملجان:

— يلوح لى أن هذا الهولندى ممن يأخذون من الأشياء أطيبها فحسب. فاعترضه كوسارد :

— كلا أنت مخطئ

— يظهر أنك تزوجتها يا كوسارد فانى أعرف نهاية أمثال هذه الفتيات

— كلا، لم أتزوجها! وهى تعيش عيشة رغدة

— ولكن أظنك أخبرتنا أنها غضبت وتركته فى الجبل

— نعم ولكنه لحق بها

وعرج على مركبة بجواره ولم تكن تتوقع مجيئه بل أخذت تسير عند انبثاق الفجر هائمة على وجهها دون مال أو متاع، حيرى لا تلوى على شيء وفى رأسها حلم بفندق كانت نازلة فيه وقدماها تسوقها إليه

فأشاحت بوجهها عنه لأنها كانت غاضبة حانقة، وتحدث إليها فلم تجب ، وأمرها أن تبقى فى الفندق فأذعنت للأمر على كره منها إذ لم يكن لديها سبيل آخر ، وعاد هو إلى الجبل وقضى سحابة يومه يفكر ، ويفكر طويلا ، فعقد النية على طلاق زوجته . تلك الزوجة الفاتنة المرحة التى هجرها ولكنها لم تكن لتأسف على تركه لو نالت حقوقها المالية كاملة . ثم كتب خطاب استقالة من وظيفته ، وأخذ يحصر أملاكه ليبيعها ، ويجمع أمواله من المصارف استعدادا للرحيل مع معبودته إلى أرض أخرى

وفى تلك الليلة كانت زوجته فى مركبها وبجانبها رجل ثمل ، وانطلقت تعدو بهما فى نفس الطريق المؤدية إلى الجبل، وأضيئت أنوار السيارة، فلمح هرمنس زوجته بطرف عينه فخجل ولكنه ابتسم وقال :

لقد أصبحت الآن أختى.. أختى الصغيرة الظريفة.. غادة فاتنة هيفاء .. أليس كذلك ؟ فؤاد الطرزى

# مبتور الساقين

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب السيد كمال الجبري

جرت لى هـذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت مسافراً فى القطار ومزمعاً الانزواء بنفسى فى إحدى غرفه ، حين انفتح بابها وسمعت صوتاً يقول لآخر :

— خذ حذرك من الزلل ياسيدى ، فقد بلغنا ملتقى الخطوط « المقص » ثم إن مرتقى القطار مرتفع .

فأجابه صوت آخر :

— لا تخف يالوران فسأعتمد على مقبض عكازي

ثم ظهر لى رأس مستور بقبعة مستديرة ويدان تعلق بهما سيران من جلد ، أخذتا تستمدان وتستندان إلى جانبي باب القطار . ثم رفعتا بهوادة وبطء جسماً بديناً بعض الشيء . سمعت لوقع أقدامه الخشبية نقراً على مرتقى القطار . وحين هم الرجل بالدخول إلى غرفتى أبصرت نهاية بنطلونه المتراخى فبرزت لى من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن لحقت بها أختها ، فعلمت أن رفيقى مبتور الساقين.

ثم برز لى من ورائه رجل آخر راح يقول له :

— هل أنت مرتاح فى جلستك ياسيدي ؟!

— نعم ياولدي

— وإذن فهاك صررك وهذا عكازك . وهنا أبصرت خادماً تبدو فى سحنته معارف جندى قديم يصعد إلى صاحبنا حاملاً له بين ذراعيه كدسة من أشياء ملفوفة بأوراق بعضها أسود وبعضها أصفر . حتى اذا وضعها فى رف القطار الواحدة بجانب الأخرى ، قال لسيده :

كل شىء معد لك يا سيدى : فى هذه الصرر الخمسة أشياء :

السكر واللبس ، والدمية ، والطبل ، والبندقية ، وأخيراً الفطيرة الدسمة

— حسن جداً ياولدى .

— أتمنى لك سفراً ميموناً ياسيدى

— شكراً « يالوران » وأنا أتمنى لك صحة موفورة . ثم غادر الخادم القطار بعد أن أغلق على سيده باب الغرفة .

كان رفيقى فى السفر فى الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً ، على رغم أن شعره وخطه أكثره الشيب ؛ وكان حسن البزة والشارة غليظ الشارب تبدو عليه الفراهة والقوة واكتناز اللحم . فبعد أن استقر ومسح جبينه وراح ينفث فى الهواء دخان سيجاره رمقنى بنظرة هادئة ثم قال :

— لعل دخان سيجارى يزعجك ياسيدى ؟

— فقلت له : كلا ، ولكن ماكدتُ أنطق حتى دهشت . ذلك أن هذين العينين وذلك الصوت وحتى هذه السحنة لم تكن غريبة عنى . نعم كنتُ أعرفها ولكن أين . . ومتى ؟ وفى الحق لقد بدا لى أنى لاقيت هذا الشاب وكلمته وضغطت على يديه ولكن ذلك كان بعيداً حتى لقد ضاع فى ضباب كثيف يُخيل للفكر معه أنه يتلمس ذكريات الماضى ويتبعها كأنها الأطياف العابرة الهاربة . كان هو أيضاً يحدجنى بنظره ويتفرس فى وجهى متعرفاً .

كأنما داخله من التشكك بمعرفتي مثل ما داخلني . وتضايق نظرانا من هذه الملاقاة الملحة فافترقا . على أنه لم تمض إلا ثوان حتى عادا وتلاقيا ثانية بتأثير حب الكشف والاستطلاع . وابتدرته أنا قائلا :

— بالله يا سيدي . ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحث معاً عن المكان والزمان اللذين تعارفنا فيهما أول مرة ؟ فأجاب بلطف :

— إنك لحق ياسيدي . وهنا سميت له نفسي قائلا :

— إني أدعى القاضي هنري « بونكلير » فتردد برهة ثم قال بعين غائمة بضباب الذكرى وصوت من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئاً عفى عليه الزمن :

— آه . . ذكرتك تماماً . فقد صادفتك في « بوانسل » وكان ذلك منذ اثني عشر عاماً قبل الحرب المشئومة . .

— نعم ياسيدي . . . أوه . . . وإذاً فأنت الليوتنان فاليه ؟

— نعم بعينه ، ثم أصبحت الكابتن « فاليه » قبيل اليوم الذي فقدت فيه ساقيّ الاثنتين باصابة فظيعة من قنبلة حربية .

وهنا حدق كل منا في صاحبه من جديد بعد هذا التعارف . وتمثل في خاطري هذه الساعة منظر ذلك الشاب الجميل اللطيف الذي كان ملء العين والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه الصورة الغامضة الملفوفة بضباب النسيان ، كانت تطفو على ذاكرتي قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها وأنسيتها الآن ، ولكني لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مغرية رغم قصرها لأن الحب لعب على مسرحها . ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن ذاكرتي شيئاً فشيئاً وإذا بها تتضوء وتستنير بها المسالك فيطالعني من خلال سطورها المحوة وجه فتاة مليحة ، وإذا باسمها يرن في سمعي ويجرى على لساني: الآنسة « ماندال » . . لقد ذكرت كل شيء الآن . . وفي الحق لقد كانت قصة غرام تلك التي نسيتها أولا . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت به ، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر القريب الذي كان يفجر ينابيع الفرح والسعادة في قلب صاحبنا الضابط .

وهنا صوبت بصري إلى الصرر الموضوعة على الرف فوق رأس الضابط الكسيح . فاذا بها تهتز وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بي كأني أسمع الآن صوت الخادم يقول لسيده :

كل شيء مُعد لك يا سيدي . ففي هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر ، والملبس ، والبندقية ، والطابل وأخيراً الفطيرة الدسمة . وتألفت في لحظة بخاطري رواية لهذا الكسيح الذي أراه أمامي : رواية تشبه الشبه كله جميع ما كنت قرأته في القصص أو رأيته في المسارح ؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذو العاهة خطيبته السليمة أو لا . وإذن فان هذا الضابط المبتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبته بساقيه . تمثلتُ كل هذا جيداً وفي بساطة ، ثم عرض لي فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر . أيكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه ؟ أتكون الصبية المسكينة احتسبت الله في مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القاسي ، فهي تستقبل مكرهة هذا الكسيح الذي غادرها

ملء العين ملاحة وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أتراه سعيداً أم متألماً ؟ ! وقامت بنفسي رغبة لا تقاوم في الاستعلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقط المهمة التي أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاءه عني أو ما لا يمكنه الافضاء به. ورحت أكلمه بأحاديث شتى، بينما عيناى مثبتتان على الصرر الملفوفة التي وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين: أما السكر والملبس فلامرأته ، وأما الدمية فلطفلته، وأما الطبل والبندقية فلطفله، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؛ وفجأة قلت له :

— لعلك أب لعائلة يا سيدى ؟؟

— كلا .

فشعرت بشيء من الخجل والربكة لهذا السؤال كأنى ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة . لهذا عقبتُ :

— معذرة يا سيدى لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمعى من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللُّعب . وأنت تعلم أن المرء قد لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافترثغره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أنى لست متزوجاً ؟

وهنا بدت علىّ دلائل الاستذكار والتأمل ، ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ما تقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت عاقداً خطبتك على الآنسة ماندال فيما أظن ؟

— نعم يا سيدى إن ذاكرتك جيدة جداً .

فاجترأت وتابعت :

وأذكر أيضاً أنى سمعت أن الآنسة ماندال خطيبتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط فى سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضاً أنى سمعت فى ذلك الحين قصة فاجعتك ، ونظرت إليه من جانب عينى فاذا بالدم يتدفق فى وجهه أحمر قانياً ، ثم إذا به يجيبنى فى حمية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقاً وفرّط فى حقّه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن يذكروا أمامى اسم خطيبتى « ماندال » بعد إذ أُبتُ من الحرب بدون ساقين ، ويا للأسف، لم يكن بوسعى أن أقبل دون ألم وتقريع ضمير أن تصبح « ماندال » امرأتى . أترى ذلك يكون ممكناً ؟ ؟ حين يتزوج المرء يا صديقى لا يفعل ذلك كي يتباهى على الناس بامرأة جميلة فتانة ! إنما يفعل كي يعيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثوانى . فاذا كان الزوجُ مثلى كتلة شوهاء مبتورة فانه بزواجه من فتاة ريانة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم الممض وقسرها على حياته الناقصة المحطّمة حتى الموت . أنا أفهم وأُقدّر بل وأُعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهى إليها . لهذا فأنا أستنكر من نفسى أن تحرم فتاةٌ جميلة نفسَها لأجلى من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام للصبا وللجسد أيضا ، كل ذلك كي يقال عنها إنها عفيفة طريقة كريمة . ثم كيف أطلبُ منها هذا وأنا نفسى حين أسمع على أرض الدار وقع عكازى وأنا أمشى وأحجلُ ، أنا نفسى

حين أسمع هذا الصوت الذى يُشبه وقع أقدام الثنالِ يجيش فى نفسى الحنق فأود خنق خادمى . وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن تسامح فى شىء هو نفسه لا يغتفره لنفسه ، ثم أتعتقد وتتصور أن ساقىّ الخشبيتين هاتين جميلتان فى النظر فاتنتان للعين ؟ وسكت وسكتُ فما عساى بجيبه ؟! إن كلامه الصدق فهل يوسعى أن ألومه أو أخطئه . ثم سألته فجأة :

— هل لمدام فلوزيل خطيبتك المتزوجة أولاد ؟!

— نعم ، طفلة وصبيـان ، ولهؤلاء الأطفال ما أحمل من لُعب فى هذه الصرر كهدية . إنها وزوجها طيبان . . وكان القطار فى هذا الوقت يصعد ملتقى خطوط « سانت جرمان » ثم يمضى تحت الأنفاق المتعاقبة فى المحطة . ثم يقف . وعزمت على تقديم ذراعى نُسكأة للضابط الكسيح كى يستعين عليها فى النزول من القطار لولا أن يدين امتدتا من باب القطار المغلق لمساعدته

— نهارك سعيد يا فاليه . فأجاب صاحبى الضابط

— سعد نهارك « يا فلوزيل » . وكان خلف الرجل امرأته الجميلة تبتسم له أيضا وهى ترسل التحيات الحارة من كفيها المستورتين بقفازين . وبجانبها طفلة صغيرة كانت تطفر من الفرح والابتهاج بلقاء صاحبى الضابط وبجانبها الآخر صبيّـان صغيران كانا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد برزا من طرف الصرر التى تسلمها أبوهما فلوزيل

وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع إليه الأطفال فعانقوه فى محبة وألفة وشوق . ثم اتخذت العائلة طريقها إلى المنزل ، وفى أثناء الطريق أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الغضة مسند عكاز الضابط الكسيح وقد فاض وجهها بمـاء الابتهاج والطيبة والمحبة البريئة

كمال الحريرى


# وحى بغـــــداد

## صور وجدانية وأدبية واجتماعية

بقلم الدكتور زكى مبارك

يطلب من المكاتب الشهيرة

وثمن النسخة عشرة قروش

اقرأ :

# توفيق الحكيم

فى كتبه الثلاثة الجــديدة :

عهد الشيطان

ثمن النسخة ٧ قروش

تحت شمس الفكر

ثمن النسخة ٨ قروش

تاريخ حياة معدة

ثمن النسخة ١٠ قرشا

تطلب من جميع المكاتب الشهيرة

# الفرار

للكاتب الإنجليزي "هولوى هورن"
بقلم الأديب محمود السيد شعبان

ما كاد السير ( بول كانكارت ) يصل إلى المستشفى حتى كان الليل قد قارب أن ينتصف ؛ فتلبث غير قليل — والقلق يملأ جوانب نفسه ويملك مدارك حسه — فى البهو الرحيب الرهيب يترقب متلهفاً مقدم الممرضة ، فلما وافته سألها :

« ألم تتحسن صحتها بعد ؟ »

وأجابت الفتاة فى صوت خافت هادئ حزين :

« إنه ليؤسفنى ويكربنى ياسيدى أن أعترف لك بأن صحتها قد ساءت كثيراً .. وإنها لتعانى الساعة أشد حالات المرض ؛ فهل تود أن ترافقنى لتراها ؟ »

... وتبع الرجلُ الفتاة وهى تسير فى البهو الفسيح ذى اللون الأبيض الناصع وقد انبعثت من من جنباته رائحة الحمض المطهر . . . وما كادت تقف عند باب من أبواب غرفه حتى خرج منها رجل يوحى إليك منظره ومظهره أنه طبيب

وتمتمت الممرضة قائلة : « ما هو ذا السير ( بول كانكارت ) يا دكتور ( يارو ) ! ! »

وتصافح الرجلان ...

وقال السير ( بول ) فى صوت هادئ رزين متزن : « إننى أريد أن أعرف منك الأمر على حقيقته ؛ فهل تسمح بذلك يا دكتور ؟ »

وعقل التردد لسان الطبيب برهة من الزمن فلزم الصمت ... ثم جمع ما تشتت من شجاعته ، وماتبدد من صراحته ، وما تفرق من قوة بيانه وحدة لسانه ، وقال : « إنه لمن الخير لى ولك يا سيدى أن أصدقك القول . إن الجرح الذى أصاب زوجك خطير مهلك . . . وإننى لأخشى أن يكون هذا آخر عهدها بالدنيا وأول عهدها بالآخرة .. ؛ لقد كاد هلاكها أن يكون حقيقة ملموسة واقعة ، وأكبر ظنى ياسيدى أنه لم يبق لها الآن نصيب من النجاة أو حظ من الحياة ! »

— « لله الشكر يا سيدى ... ؛ ولكن ألا يمكننى أن أراها الآن ؟ »

— « أوه ! ... بلى ... ولكنها الساعة غائبة عن وعيها لفرط ما تقاسى من شدة الألم ، وبَرْح ما تعانى من هول الفاجعة !! »

ودخل ليراها فاذا بها وحيدة فى حجرة خاصة مضاءة ، قد ارتدى كل ما فيها حُلة بيضاء كسائر مافى ذلك البناء الرهيب . وكانت عيناها مفتوحتين ؛ أما وجهها فهادئ لايتألم ، صامت لايتكلم ، ساكن لا حراك فيه ولا أنين به ، كأنما قد وُكلت به ملائكة الصمت فعقلت لسانه ، وأخذت بيانه ، وشلّت حركته ... حتى ظن الرجل لأول وهلة أنها قد قضت

وانحنى عليها وناداها : « يا مارى ! » ؛ ولكنها — واحسرتاه — قد أخلفت ظنه فلم تتحرك

وقدمت الممرضة مقعدا للسير (بول) واقترحت عليه أن يجلس فشكرها ؛ ثم وقفت — وقدقبضت بيدها على معصم المريضة تجس نبضها — ناظرة إلى وجه الرجل المتجهم وهو يتأمل بنظاراته الحائرة

الرائقة وجه زوجه الصامت ، وقد جلله بياض رهيب وهى مستلقية على فراشها ؛ وعجبت من هذا الوجه الهادئ الجليل الذى لا نعرف الرحمة سبيلا إلى نظراته القاسية . . . ! !

. . . وملأ المكان صمت رهيب كصمت القبور ، وسكون موحش كسكون الموتى ؛ ثم . . . ثم دوى على حين غرة صوت الرجل يخاطب المرضة: « إن نبأ هذه الفاجعة لم يصلنى إلا منذ قليل . . . فاننى لم أتسلم رسالة المستشفى إلا عند عودتى إلى الدار » .

— « لقد نقلت زوجك إلى المستشفى فى الساعة الثامنة » .

— « فهل أستطيع أن أستنتج من هذا أن الحادث قد وقع قبل ذلك بقليل ؟ »

— « نعم »

ونظرت إليهما المرأة الراقدة على فراش المرض نظرة غاضبة عاتبة كأنما قد أزعجها جرس كلامهما وهمس حديثهما . . . وجرت على شفتيها كلمات متقطعات مبهمات لم تدركها الفتاة لأنها لم تسمعها ، ولم يفهمها الرجل لأنه لم يتبينها ، فانحنى إلى الأمام وأرهف سمعه علّه يعى شيئا مما تقول

— « إننى لم أستطع أن أفهم كلامها »

— « إنها غائبة عن وعيها منذ حين وما أفاقت بعد . . . فهل لك أن تذهب فتجلس فى حجرة الانتظار حتى يرحل عنها ما ألم بها من السوء فيعود إليها رشدها ؟ »

وما سمع السير ( پول ) هذا حتى نظر إلى الفتاة نظرة فيها شىء من الحدة والغضب ، وشىء من الشك والريب ، ثم قال لها : « لا . . . أشكرك ! »

ولكن . . . ولكن فى هذه اللحظة صاحت المرأة الجريحة هاتفة : « پونى ! »

. . . لقد كان هذا الاسم أول كلمة صحيحة كاملة فاهت بها المسكينة ، وأول لفظة جلية واضحة فهمت عنها

وسأل الرجل الممرضة فى صوت هادئ النبرات « ألم تهتف بهذا الاسم من قبل ؟ »

وأجابت الفتاة فى كثير من التردد والحيرة والارتباك : « إننى . . . إننى لم أكن أفهم عنها ما تقول ، وما استطعت أن أتبين شيئاً من حديثها قبل الآن »

ولكن الرجل لم يصدقها فيما قالت . . . فقد كان فى ترددها الواضح ، وتلعثمها البيّن ، وشرود فكرها ما يرجح أنها كاذبة فيما تقول

. . . فى هذه اللحظة دخل جراح المستشفى وهو شاب لم يكتهل بعد ؛ وكان الناظر إليه يلحظ فى حركاته شيئاً من الاضطراب ، أكبر الظن أنه نتيجة لوجوده فى حضرة الرجل العظيم النابه السير ( پول كانكارث )

وجسّ الجراح نبض المريضة ثم قال : « إن نبض عروقها ضعيف بطىء ولكنه بالرغم من كل ذلك منتظم . . . . . . »

ولم يدعه السير ( پول ) يسترسل فى حديثه وإنما سأله : « هل ستقضى نحبها الآن ؟ ! »

— « ما زال باب الحياة مفتوحاً أمامها وإنك لتعرف ذلك ياسيدى . . ولكن مرضها عضال ، وجرحها بليغ ، وإننى أخشى عليها . . . »

كان الطبيب صادقاً فيما قال ، فما مضت ساعة على هذا الحديث حتى أغلقت المسكينة جفنيها ، وأسلمت روحها لبارئها

... وأتم الطبيب حديثه مخاطبا السير (پول) : « إننى أخشى أن أقرر لك يا سيدى أن الأمر قد خرج من يدى . . . لقد حُم القضاء ، وماتت المسكينة ، وانتهى كل شيء ! ! »

وهبّ الرجل العظيم واقفاً دون أن ينبس بذات شفة ؛ ثم ألقى نظرة طويلة على ذات الوجه الأبيض المسجاة على فراش الموت ، وقال وهو يبرح الغرفة : « والآن . . . سأذهب ! ! »

وما كاد الرجل يخرج حتى تمتم الطبيب : « ياله من زائر ثقيل ! ! »

وصاحت الممرضة فى ثورة وغضب : « ثقيل ؟!. هذا الرجل المسكين . . هذا الرجل الطاهر . . . اللهم امدده بعونك والحظه بعناياتك » . ثم وقفت ناظرة هى الأخرى إلى ذلك الجسد الهامد الممدد فوق الحشايا ؛ وقالت فى صوت مرتفع : « إنى لأعجب من يكون ( بونى ) ياترى ؟ ! »

— « بونى ؟ » .

— « لقد كان هـذا الاسم حديثها ونجواها . . وأشهد أنى ماسمعت منها هتافاً غيره مذ رأيتها » .

— « من المحتمل أن يكون هذا الاسم الذى اعتادت أن تطلقه على قرينها السير ( پول ) لتدلله به » .

وهزت الممرضة رأسها قائلة : « لقد رأيته بعينى عندما هتفت أمامه به . . إنه لم يكن هو . ! ! »

وماعدت الفتاة الحقيقة فيما قالت ؛ فقد كان ( بونى ) — كما يعلم السير ( پول ) نفسه — رساماً تعرفه الليدى ( كاتسكارت ) ، وما كانت تغفل عن دعوته إلى كثير من حفلاتها وولائمها ؛ وهو شاب فى مقتبل العمر أصغر سناً من الليدى ( كاتسكارت ) نفسها ، وإن كانت فى الخامسة والعشرين من عمرها عندما أدركها الردى ، بينما كان زوجها قد جاوز الخمسين فى ذلك الحين .

وجلس السير پول فى سيارته متجهم الوجه

وقال يناجى نفسه : « بونى ؟ .. لقد كانت تود أن تراه ... فيجب أن يتم لها ما أرادت . . . يجب أن أحقق رغبتها ... يجب أن أجيب رجاءها فلا أعصى لها أمرا ! » .

وما خيب ( السير پول ) طوال عمره حاجة لها أو رد لها مطلبا ؛ وليس ما تريده الآن غير مطلب يسير لو قيس بما اعتاد أن يجيب من رغائبها !

وقفت السيارة الفخمة أمام دار السير ( پول ) الأنيقة ، فهبط السائق منها ، وسأل سيده إن كان فى حاجة إليه فيبقى ، أم فى غنى عنه فينصرف .

وأجابه السيد العظيم وهو يحاول أن يكون أكثر هدوءاً وجلدا وقوة : « هذا يكفى ... إذهب إلى فراشك . إننى لا أريد أن يزعجنى أحد ! » .

***

ما مضت نصف ساعة على هذا الحديث حتى كان السير (پول) قد أعد عدته للخروج ، فارتدى سترة خشنة النسيج اعتاد أن يرتديها فى الريف ووضع فوق رأسه قبعة ، ثم مضى وحيدا فى ظلمة الليل الدامسة إلى حيث يقطن ( بونى ) وإن كان بينه

وبين مسكنه طريق طوله ميل . وسار الرجل مسرع الخطى بالرغم من رطوبة الجو وحلكة الظلام ...

لقد ذهب ذات مرة مع زوجه إلى (الاستوديو) الذى يعمل فيه (بوني) فلم يكن من الصعب عليه أن يهتدى إليه وحده هذه المرة ...

كان ( الاستوديو ) غارقا فى ظلام رهيب موحش كما توقع السير ( بول ) ؛ ولكنه ما كاد يدق الجرس حتى أضيئت الأنوار وانفتح الباب ..

ولما رأى الرسام وجه زائره ملكته الدهشة من هذه الزورة الفاجئة فى تلك الساعة المتأخرة من الليل!

وقال ( كاثكارث ) — وكان أكثر هدوءا من مضيفه — فى صوت هادىء متئد « إنه ليؤسفنى أن أزعجك ! »

— « إننى لم أكن نائما . تفضل فادخل ! تفضل؛إننى لم أرك من قبل فى مثل هذه الساعة؟»

وتابع السير ( بول ) مضيفه بين جدران ( الاستديو ) وكان يرتدى فوق منامته معطفاً حريريا أسود اللون مما يلبسه الرسامون والفنانون .

وقال صاحب الدار لضيفه وهو ينظر إليه نظرة فاحصة وقد خيم عليهما صمت موحش وسكون : « ماذا وراءك ؟. هل أصابك مكروه ؟ هل (سينثيا) بخير ؟! »

— « هل تمنى زوجى (الليدى كاثكارث) ؟ »

— أجل ! ... أجل ... هل هى بخير ؟ »

وأجاب السير (بول) فى صوت وحشى قاتل :

« لقد ماتت ! »

كان هـذا النبأ الفاجى صدمة قوية لم يتحملها الشاب ، وهزة عنيفة لم يقو عليها جلده ، وما كادت كلمات الزائر تصـل إلى قرارة نفسه حتى أذهلته المصيبة الفاجعة فأنشب أظفاره فى المنضدة التى إلى جانبه ثم نظر إلى ضيفه نظرة تحمل بين ثناياها أفظع الوحشية والجنون ...

— « ماتت ؟ . . ماتت ( سينثيا ) ؟ ! »

— « لقد قضت منذ ساعة » .

— « ولكن . . يا إلهى ! ولكن . . ماذا حدث لها أيها الرجل ؟ »

— « لقد صدمتها سيارة . . وقضت دون أن تفيق من غشية الواقعة » .

وقفز الرسام واقفاً على حين غرة ، كأنه وحش نهم يريد أن ينقض على فريسته ؛ وأخذ يصرخ ويهذى كالمعتوه . . « سينثيا . . ماتت . . ما . . » ثم ارتمى فجأة فوق مقعده ، منحنياً إلى الأمام ناظراً بعينين لا تبصران إلى الحائط الجديب .

ولم يشفق (كاثكارث ) على الرجل ولم يرق له فمضى فى حديثه : « ولقد كان اسمك آخر كلمة فاهت بها . . اسمك أنت . . أنت وحدك ! ! »

وأعاد الشاب الذاهل الكلمة الرهيبة : «ماتت» ثم أطبق شفتيه وأسكت لسانه كأنما أفزعه أن تطرق هذه الكلمة المدمرة مسمعيه أو تمر على شفتيه

ومضى السير ( بول ) فى حديثه غير مكترث بما أصاب مضيفه ، أو آبه لما حدث له : لقد سألت عنك كثيراً ... ونادتك ... وأرسلت فى طلبك .. وكانت تريد أن تراك ... وأشهد أنها لم تغفل عن ذكرك لحظة ... وإنك وربى لذاهب معى إليها ... فهـلم بنا ! ! »

وصرخ الشاب : « نادتني ؟ .. تقول إنها نادتني .. وطلبتني ؟ .. وأرادت أن تراني ؟ .. هل أنت متأكد ؟ .. أتقول حقاً ؟! أحقاً ماتقول ؟! »

ولم يستطع (كاثكارت) أن يجيب عن شيء من ذلك كله ؛ فقد جفَّت شفتاه وتقاعستا فر يلسانه عليهما ثم تمتم في صوت خافت : « نعم » ؛ وأطبق بعد ذلك راحتيه كأنما يسحق بينهما شيئاً

— « كانت تحبني . . . تحبني . . . أنا . . . ليتني عرفت ذلك من قبل ! آه . . آه لو عرفت ! يا إلهي . . يامن تسمى نفسك عادلا رحيما . . . ليتني يا إلهي قدعرفت قبل الساعة أنها تحبني ... ليتني!! »

ولم يتمالك (كاثكارت) نفسه فصاح به : « أنت . . . ألم تكن تعرف ذلك ؟ ! »

— « آه . . . إني ما عرفت هذا قبل اليوم ؛ وإلا لأخذتها منك أيها الأحمق المغرور . . . يامن لا ترحم . . . إنه ليهون عليّ أن أصلى عذاب السعير من أن أفكر فيهامقيمة معك . . . معك أنت . . . وهي التي أحبتني أنا وحدي . . . أنا وحدي أيها القاسي . . . ولكن ما عرفت ! ! »

وغطى الشاب وجهه براحتيه ثم تكبكب على نفسه وأخذ يميل من جهة إلى جهة ويهتز يمنة ويسرة كأنه معتوه لا يعي أو مخبول لا يعقل . . . غير عابىء بمن معه ! !

... ونظر السير (بول) لحظة إليه ؛ ثم ... ثم ولّى هارباً دون أن يشعر به الرجل ... وأغلق الباب وراءه في هدوء وسكون !

« الاسكندرية » محمود السيد شعبان


# الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

## أبي العلاء المعري

طرفة من روائع الأدب العربي في طريقته، وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه ناقدو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة في القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتي

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع في جميع المكاتب الشهيرة



# رفائيـــــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

# حاجي بابا اصفهاني

للكاتب الانجليزي "جيمز موريز"
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

مقدمة المترجم

لمؤلف هذه القصة قصة أخرى عنوانها حاجي بابا في انكلترا ، وقد قرأها قراء « الرواية » . والقصتان مضى على نشرهما أكثر من مائة عام . ولم يكن من أغراض مؤلفهما إلا تصوير حالة واقعة في عصره لا في إيران وحدها ، بل وفي الشرق عامة . وسيرى المنصفون المعتزون بحاضرهم وبماضيهم الأقدم من الشرقيين أن الرجل لم يكن متجنياً على الشرق ولا مفتاتاً على التاريخ . فما من شك في أن الشرق كان منذ مائة عام ذا عيوب وذا هنات . وما نفتخر بعظمائنا وأبطالنا من عهد نهضتنا إلا بقدر ما سموا بنا عن الحالة التي سبقت هذه النهضة . وما نفتخر بتقاليدنا وبديننا إلا لما فيهما من العناصر التي ساعدت على رفعنا إلى المستوى الذي نحن فيه بعد أن وصلنا منذ قرن من الزمان إلى ما كنا عليه

على أن الصورة التي رسمها هذا الكاتب فضلا عن صدقها ليست زرية ، فقد بين المؤلف فيها عناصر من القوة أشار إليها في الفصل الأول من كتاب حاجي بابا في انكلترا . وقد قرأه قراء الرواية حيث قال : إن الاعتزاز بالنفس والاستماتة في المحافظة على الكرامة من أخص صفات الايرانيين ، وانه لو أضيف إلى ذلك علم صحيح لما سامتهم أمة في الحياة . وقال إن غرضه لفت نظر الشرقيين إلى عيوبهم ، وإن لكل أمة محاسنها وعيوبها . وقد نقد بلاده نفسها « انكلترا » في كتابه السالف من وجهة النظر الشرقية

أما كتاب اليوم فنقد للشرق من وجهة النظر الغربية . وقد كان المؤلف سفيراً لبريطانيا في طهران حين وضع الرواية الحاضرة ، ثم أقام في بلاده لم يضع الرواية الأخرى . وكلا الكتابين مقروء في كل اللغات . وفي اعتقادنا أن مشاركتنا مئات الآلاف من القراء من أبناء اللغات الأخرى في مطالعته أجدى علينا من إغفال ما كتب عنا وما ليس يغفله غيرنا إذا نحن أغفلناه . وأسأل الله أن يوفقنا نحن الشرقيين إلى سعة في الصدر لا تتحرج معها من نقد ناقد ، وإلى ثقة بالأنفس واطمئنان إلى القوة فلا نخشى على أنفسنا من رأي الغير فينا ، وإلى احترام للحرية وحب للمعرفة ، فلا نكره سماع ما يخالف رأينا ولا نميل إلى الجهل بما نحن أولى الناس بأن نعلمه

المترجم

## الفصل الأول

### نشأة حاجي بابا وتربيته

كان أبي واسمه كربلائي حسن من أشهر حلاق أصفهان . وقد تزوج وهو لا يزال في السابعة عشرة من بنت رجل بدال كان جاراً له في حانوته ، ولكن العلاقة بين الزوجين لم تكن سعيدة ، لأن زوجته لم تلد فأهملها . وقد جلبت له خفة اليد في حمل الموسى شهرة واسعة وعدداً كبيراً من « الزبائن » معظمهم من التجار الأغنياء . وبعد أن مارس صناعته عشرين عاماً استطاع أن يتزوج من سيدة أخرى ضمها إلى زوجته الأولى في بيت واحد

• وكانت الزوجة الثانية بنت صيرفي غني كان أبي يعنى به أكثر من عنايته بسائر « الزبائن » فلم يتردد في قبول خطبته عند ما طلب الزواج من ابنته

وفي الأيام الأولى من عهد زواجه رأى زوجته الأولى ستتعبه بما تبديه من ضروب الغيرة ، وأحب أن يستريح منها وأن يظهر لصهره الجديد أنه صالح تقي فأخذ زوجته الثانية وذهب لزيارة مشهد الحسين

فى كربلاء . وفى أثناء الطريق حملت بى منه . وقد كان معروفاً قبل هذه الزيارة باسم « حسن الحلاق » فلما زار ذلك المشهد دعى باسم « الحاج حسن » لأن الشيعيين فى البلاد الفارسية يلقبون بهذا اللقب من زار قبر على أو أحد ولديه وإن كان سائر المسلمين يقصرونه على من زار المشهد النبوى . وقد دعيت أنا أيضاً بلقب الحاج وإن كنت لم أحج فى كبرى لأننى كنت فى بطن أمى وهى تؤدى هذه الزيارة . وقد أفادنى هذا اللقب احتراماً كبيراً بين الناس

ترك أبى حانوته فى مدة غيابه لأكبر عامل عنده. ولما استأنف عمله زاد الاقبال عليه، لأن حجه زاده شهرة فزاد إقبال المتدينين عليه عامة والتجار منهم خاصة

ويظهر أنه كان فى عزم أبى أن ينشئنى على هذه الحرفة ، ولكنه أرسلنى إلى المكتب لأتعلم مبادئ الدين . وكانت حرفته لاتستلزم من التعلم كل الذى تعلمت، ولكن فقيه المكتب كان يحبنى لأن أبى كان يحلق شعره مرة فى كل أسبوع بغير مقابل . وكان يكرمه لتدينه وورعه . ووجد الفقيه فضلا عن ذلك ميلى إلى التعلم فعلمنى القراءة والكتابة. ولم يمض عامان حتى كنت أعرف اللغة العربية وأحفظ القرآن وأحسن الكتابة بها وباللغة الفارسية. وكنت فى أوقات فراغى أجلس بحانوت أبى وأتعلم الحلاقة فى رؤوس الصيادين ورعاة الجمال . ولقد عذبت كثيراً منهم فى أول الأمر

ولكن لما بلغت السادسة عشرة من عمرى صار من الصعب أن تعرف فى أى الأمرين كنت أكثر نبوغاً، أفى المكتب طالباً أم فى السوق حلاقاً . وعلى معرفتى حلاقة الرأس وتنظيف الأذن وقص اللحية فقد كنت أعرف التدليك والتكبيس فى الحمام على الطريقتين التركية والهندية، فقد كان ذلك من واجب الحلاقين فى عصرى . ولكننى كنت أمتاز بخفة اليد ولطف الحركة . ولقد أحسن إلىّ معلمى الفقيه بتلقينى شعراً كثيراً من دواوين شعرائنا الفارسيين كالسعدى وحافظ الشيرازى وغيرهما، وكان صوتى عذباً وإلقائى جميلا ؛ وكنت أُجمِّل محادثاتى بالاستشهاد ببيت أو بيتين مما جعلنى رفيقاً أنيساً لائقاً كل اللياقة لصناعتى. وأقول فى غير غرور إن حاجى بابا كان فريداً بين الشبان فى سلامة الذوق وإمتاع الجليس

وكان حانوت أبى بالقرب من أكبر خان فى المدينة وهو المعروف بخان الشاه ، وهو محلة التجار من الأجانب والمقيمين . وقد كان أكثرهم يزوره ويجزل له العطاء محبة فى ابنه ، وكان أحدهم وهو تاجر بغدادى يصر على أن أحلق له دون سائر العمال فى الحانوت ويقدمنى حتى على أبى . وكان يحدثنى باللغة التركية التى تعلمت مبادئها فى العهد الأخير ، وقد شوقنى إلى زيارة البلدان المختلفة بما ذكره لى عن جمالها حتى نشأ بنفسى حب عظيم للسياحة . ثم خلا عنده مكان كاتب ، وكنت جديراً بأن أملأ هذا المكان وأنا أمتاز عن سائر الكتبة بأنى حلاق ، فعرض على أن أدخل فى خدمته فقبلت حباً فى السياحة ولكى أتعلم التجارة ، ولأن الراتب الذى عرضه على كان راتباً عظيما . ولما عرضت عزمى هذا على أبى وجد فى بعدى عنه خسارة كبيرة عليه فحاول إقناعى بالعدول عن ذلك وقال : إن هذه الأسفار مملوءة بالمتاعب والأخطار . ولكنه لما علم بمقدار الراتب وبالنفع الذى أرجوه فى مستقبلى ،

ورأى أنه من المحتمل أن أصير غنياً مثل هذا التاجر واثق على سفرى ومنحنى بركته ومنحنى كذلك صندوقاً من المواسى وأدوات الحلاقة

وكان حزن أمى شديداً على بعدى لأنها تخاف على من الأخطار وتكره أن أكون خادماً لرجل سُنىّ مع أننا من الشيعة؛ وبين الطائفتين في إيران عداوة قوية قديمة . ولكنها لما رأت إصرارى وتبينت أغراضى أهدت إلىّ صندوقاً من الكمك وأهدت إلىّ كذلك حُقّـاً من المرهم قالت إنه يشفى جميع الأمراض ، وأوصتنى بألا ألتفت إلى الباب عند سفرى لكى أعود سليما . وهذه عقيدة محترمة عند الشيعيين

## الفصل الثانى

رحلة حاجى بابا . بخارية الأكراد . رفوعه فى الأسر

كان اسم هذا التاجر عثمان أغا، وكان يريد السفر لشراء جلود من بخارى وبيعها بعد ذلك فى الآستانة . وكان عثمان أغا قصير القامة ضخم الجثة كبير الرأس أقنى الأنف منتفخه كبير اللحية أسودها

وكان يحافظ على صلواته ولم يترك نزع الخف والجوارب عند الوضوء حتى فى أشد أيام البرد محافظة منه على السنة مع أنه كان يستطيع مسح الخف فى هذه الحالة . وكان يكره الشيعة إلى حد المقت ، ولكنه كان يخفى ذلك كل الاخفاء فى مدة وجوده بالبلاد الفارسية . وكان أكبر ميوله متجهاً إلى الكسب، ولم ينم قط قبل أن يستوثق من أن أمواله فى مكان أمين . وكان يرفه عن نفسه بالتدخين المستمر ويشرب النبيذ سراً وإن كان يلمن المجاهرين بشربه ويعد ذلك نقصاً كبيراً فيهم

وكان الموعد الذى ستسافر فيه القافلة فى أوائل الربيع فاستعدو للسفر ، واشترى السيد لنفسه بغلة قوية واشترى لى كوبى فرساً أحمل عليه معى نرجيلته وموقداً وزمزمية للماء وصندوقاً لفحم النرجيلة وثيابى . واشترى للعبد الذى يقوم فى خدمته بواجب الطباخ بغلاً يحمل عليه معه سجادة وأدوات الطبخ، واشترى للخادم بغلاً ثالثاً يحمل عليه معه ثياب السيد وزاد السفر وسائر الأمتعة

وفى اليوم السابق على السفر وضع السيد بعض ماله فى قماش ملفوف على عمامته وخاطه عليها وكان لا يطلع على هذا السر أحد غيرى . ووضع سائر الأموال داخل لحاف وخاطه أيضاً على هذه الطريقة

وكانت القافلة عند ما استعدت للسير مكونة من خمسمائة بغل وفرس ومائتى جمل أكثرها يحمل متاجر من شمال فارس، وكان عدد الرجال مائة وخمسين من التجار والخدم، ولكن فيهم بعض المتعبدين الذين لم يكن لهم غرض من هذا السفر غير زيارة قبر الامام على الرضا فى مشهد . وبهم صارت للقافلة هيبة دينية

وكان كل رجال القافلة مسلحين . وكان سيدى الذى اعتاد أن يدير وجهه خوفاً كلما أطلق غدارته، ويصفر وجهه حينما يرى السيف مجرداً من نصله ؛ كان هذا السيد يحمل فى نطاقه غدارة كبيرة مقوسة وسيفاً معوجاً معلقاً على جنبه ، وكان صدره كله مغطى بالخرطوش . وكان فى نطاقه غير الغدارة مسدسان وخنجر . وكان معى رمح ومع العبد سيف وبندقية قديمة بغير زناد

ركبنا ساعة الفجر من ضاحية فى شمال أسفهان . وكان يقود القافلة جاويش تعينه الحكومة

ومعه جنود يساعدونه، وكانت مهمته أن يرشد عن الطريق وأن يحدد الأسعار التى يشترى بها المسافرون مايحتاجون إليه من المدن التى يمرون بها ويحدد ساعات السفر والإناخة ويفض المنازعات بين المسافرين ويعين أوقات الصلاة .

أعلن هذا الجاويش السفر بصيحة عالية أتبعها جنوده بدق طبولهم النحاسية . وعلى الرغم من أن المسافرين كانوا جميعاً يحملون السلاح فيظهر أنهم كانوا جميعاً مثل سيدى عثمان أناساً مسالمين لا يعرفون كيف يستعملون سلاحهم .

وقد سرنى من هذا المنظر أنه كان جديداً علىّ . وكنت أمرح بجوادى الذى لم أركب جواداً من قبله، وكان سيدى يغتاظ من ذلك، وقد نبهنى إلى أن الجواد لا يستطيع أن يقطع مسافة الطريق كلها إذا أتعبته فى أثنائها بالركض وإظهار الفروسية .

ولم يمض إلا وقت قصير حتى عرفت كل المسافرين وصرت حبيباً إليهم جميعاً ؛ وقد حلقت لأكثرهم بعد اليوم الأول من السفر . ولا حاجة بي إلى القول بأنى كنت فى هذا السفر مبعث سرور وأنس لسيدى ؛ وكنت بين مرحلة ومرحلة أريح جسمه المكدود بالتدليك وبالاستحمام وبمسامرته حتى وصلنا إلى طهران دون أن يحدث عائق جدّى فى طريق القافلة .

وقد بقينا بهذه المدينة عشرة أيام لنريح المطايا ولكى يزيد عددنا، وكان أشد أجزاء الطريق خطراً هو الذى نحن مقبلون عليه بعد مغادرة المدينة، لأن به جماعة من متمردى الأكراد ، بينهم وبين جنود الشاه حرب مستمرة، وكان من عاداتهم قطع الطريق والاغارة على القوافل لسلب مامعها من المؤونة ، وقد هاجمت قافلة قبل قيامنا بعهد قصير فجردتها مما معها وأسرت الأقوياء من رجالها لاستخدامهم فى الحرب. ومن أجل هذا السبب كان كثيرون من رجالنا وأخصهم سيدى عثمان شديدى الخوف من مواصلة السير إلى مشهد ، ولكن ماسمعه عن رخص أثمان الجلود فيها وغلائها فى الآستانة أغراه بالتغلب على المخاطر حباً فى الكسب .

وكان جاويش القافلة ورجاله يجمعون من طهران وما حولها من أرادوا الانضمام إلى قافلتنا، وقد كان عددهم كثيراً ففرحنا بهم لمعرفتنا بجسامة الخطر الذى سنصادفه

وكان هذا الجاويش معروفاً مهيباً فى الطريق بين طهران ومشهد وذلك لما اشتهر به من الشجاعة فقد قطع رأس رجل تركمانى وجده ميتاً فى الطريق . وكانت طلعته مخوفة لأنه طويل القامة عريض الكتفين متجهم الوجه فى ذقنه الكبيرة العظام شعرات قلائل طويلة على شكل لحية . وعلى صدره درع وفوق رأسه خوذة ذات سلاسل حديدية تتدلى فوق كتفيه وإلى جنبه سيف وفى نطاقه مسدس وفى عناه رمح طويل يمده لاتقاء الخطر . وكان يفاخر كثيراً بقوته ويتحدث باحتقار عن التركمان حتى كان سيدى يطمئن إلى السير بالقرب منه والانضواء تحت لوائه

وكان موعد رحيلنا بعد أسبوع من النيروز . وبعد أن أدينا فى المسجد صلاة الجمعة ذهبنا إلى قرية « الشاه عبد العظيم » حيث تجتمع القافلة وتبدأ بالمسير فى اليوم التالى .

وكان الطريق مقفراً جديباً لا يسر العين ولا يشرح القلب. وكنا كلما اقتربنا من قرية أولقينا

جماعة فى الطريق بادلناهم التحية الاسلامية ودقت الطبول وكانت جل أحاديثنا عن التركمان

وعلى الرغم من اتفاق آرائنا على أنهم أعداء أشداء فقد كنا كبار الأمل فى أنه لا يستطيع عدد التغلب على عددنا الكبير ومظهرنا الذى يغر، وكنا نصيح عندما نرتاب فى قوم : « باسم الله ! من هؤلاء الكلاب الذى تطمعهم أنفسهم فى مغالبتنا؟ »

وكان كلنا يتبارى فى إظهار شجاعته؛ وكان سيدى يفاخر — وأسنانه تصطك من الخوف — بما كان يفعله لو هوجمت القافلة. ولو سمعته إذ ذاك لظننت أنه لم يفعل شيئاً طول عمره غير محاربة التركمان وتقتيلهم.

وقد سمع الجاويش هذه الأقوال؛ وكان شديد الحرص على أن يوصف وحده من بين رجال القافلة بالشجاعة فقال وهو يفتل شاربيه حتى يكاد يلمس بطرفيهما أذنيه : « لا يتكلم إنسان عن التركمان حتى يراهم، ولا يتكلم أحد عن الأسد حتى ينجو من بين مخالبه . ولقد صدق السيدحين قال : « لا يسلم أحد من الخوف فى يوم المعركة حتى ولو كان ذراعاه ذراعى أسد وجسمه جسم فيل »

لكن سيدى عثمان أغا كان كبير الأمل فى السلامة لأنه سنى كسائر الأتراك والتركمان، ولم يكن يعتمد عند لقائهم على سيفه أو غدارته وإنما كان يعتمد على قطعة من القماش الأخضر يلف بها عمامته. وهذا اللون عند الأتراك علامة على أن المرء من السلالة النبوية بعكس العرف عند الفارسيين ولم يكن سيدى من الأشراف فى الحقيقة وإنما هو سلاح يلجأ إليه عند الضرورة

سرنا على هذا المنوال عدة أيام ثم أخبرنا الجاويش بلهجة الرجل المطمئن الذى يلقى خبراً هاماً أننا أصبحنا الآن فى أرض التركمان وأوصانا بأن نستعد للدفاع عن أنفسنا دفاع اليائسين وبأن تتجمع القافلة فلا يبتعد عنها أحد ولا ينفرد بنفسه فريق. فكان أول شيء فعله سيدى أن ربط بندقيته وسيفه وغدارته ولفها بين الحقائب وادعى أنه مريض وأقلع عن عزمه السابق على الاشتراك فى القتال . ولف نفسه بعباءته وظهرت على وجهه علائم البؤس والتعاسة وصار لا ينقطع عن الاستغفار والتوبة، واستعد لملاقاة القدر المكتوب عليه ونزع من نفسه فكرة الاحتماء بالجاويش لأن الأخير ترك المباهاة بقوته وصار يزعم أن معه « حجاباً » يقى القافلة شرور الاعتداء ويدفع عنهم سهام التركمان

وكان بعض الفتيان فى القافلة يباهون بقوتهم ويختالون فوق خيولهم إما لاظهار الشجاعة وإما ليحتفظوا بها فى أنفسهم . وأخيراً وقعنا فيما كنا نخشاه وسمعنا طلقات النيران ودوت فى آذاننا أصوات وحشية، فاعترانا القلق جميعاً من مسافرين وركائب وتجمعنا بدافع الخوف فصرنا كتلة واحدة كما يتجمع سرب من الطير عند رؤية العقبان . . ولكن لما ظهر أمامنا فريق من التركمان تغيرت الحال فتفرقنا وفر بعضنا يمنة ويسرة واستسلم البعض ومنهم سيدى عثمان فصاروا يصيحون : « يا ألله ! يارسول الله ! ياأولياء الله ! لقد هلكنا ! لقدمتنا! »

ورمى البعض ما على فرسه من المتاجر ليخف حمله ويستطيع الجرى ثم ركض به . وأصابنا وابل من السهام ثم انقض علينا أعداؤنا ولم تمض إلا دقائق حتى صرنا فى أسرهم

وكان الجاويش من أوائل الهاربين فلم نره ولم نسمع له خبراً منذ سمعنا طلقات الرصاص ولما اطمأن

التركمان إلى أنهم لن يجدوا مقاومة وضموا أيديهم على المتاجر فسلبوها . وكان سيدى قد اختفى بين الحقائب المطروحة على الأرض منتظراً ما سيصيبه فاستكشف مكانه تركماني ضخم الجثة مرعب الهيئة فأخذ عثمان يتوسل إليه ويضرع بكل الألفاظ الدالة على الذل والخضوع ذاكراً أنه من أتباع أبي بكر وعمر لاعناً شيعة علي. ولكن شيئاً من ذلك لم يفده حتى أظهر له قماش العمامة الخضراء فعف عن حياته ولم يبق على شيء من متاجره وإنما ترك له ما عليه من ملابسه وترك له حقيبة ثيابي لأنها لا تستحق أن تسرق، وكان فرحي شديداً حين ترك لي أيضا صندوق المواسى

وبعد أن أخذ التركمان ما أرادوا أن يأخذوه أسروا بعضنا وأطلقوا سراح البعض، وكنت من بعض الأسرى الذين ربطت أعينهم وشدوا إلى ظهور الخيل . وبعد سفر يوم على هذه الطريقة تركونا في كهف

وفي اليوم التالي رفعوا الأربطة عن عيوننا فوجدنا أنفسنا في جهة لا يعرفها غير التركمان، واستأنفنا السير حتى وصلنا إلى سهل مملوء بالخيام السود وبه عدد وافر من الأغنام والمواشي المملوكة لأعدائنا

## الفصل الثالث

### التركمان — المواسى

لما اقتسم التركمان الأسرى كان من حسن حظي أنني كنت وسيدي عثمان أغامن نصيب رجل واحد هو اللص السفاح الذي سبقت الاشارة إليه وكان اسمه « أصلان سلطان » يعني سيد الأسود، وقد كان قليل النظير في القوة والشجاعة، وكانت خيامه على حافة مجرى يجري به ماء منحدر من التلال المجاورة، وكان على سفح تلك التلال حشائش خضراء ترعى بها الماشية

وقد أخذ بعض أقراننا إلى داخلية البلاد وقسموا بين قبائل التركمان التي تسكن في هذه المنطقة . وحينما ظهرنا في المعسكر اتجهت إلينا جميع العيون احتراماً، وقوبل الذي كنا من نصيبه بتحيات عالية تدل على أن له زعامة عليهم، ونبحتنا كلاب المرعى التي خصص بعضها لحراستنا، وكانت زوجة هذا الزعيم مقيمة في خيمة من خيامه، وكان لعثمان طيلسان أخضر يكسبه مهابة، فلما رأته تلك الزوجة أعجبها فأخذته منه ولم يبق على رأسه غير القاووق وهو نوع مستطيل من العمائم يحفظ فيه أمواله وقد طلبته الزوجة أيضاً لتقطعه وتضمه تحت هودج الجمل. ولما أعطاه إياها أخذته وألقته في جانب من جوانب الخيمة وقد حاول أن يحتفظ به ولكن عبثاً ذهبت محاولته . وأعطى بدلا منه غطاء للرأس كان يلبسه رجل مات من الأسرى وهو مصنوع من جلد شاة وقد مات هذا الأسير من حزنه لما تلقاه من سوء المعاملة

وكان هذا الأسير مكلفاً بخدمة الجمال، فلما مات أراد التركماني أن يضمني مكانه، ولم يكن مسموحاً لي إلى ذلك الوقت بمغادرة الخيمة، وكان العمل الذي كلفت به منذ وصلت هو تحويل اللبن إلى جبن

وقد أقام الزعيم حفلة ابتهاج بنجاح الحملة على القافلة فأولم للكبار من أعوانه وذبح الذبائح، وكان معظم هؤلاء الأعوان من الذين اشتركوا في مهاجمتنا

اجتمع الرجال فى خيمة والنساء فى خيمة أخرى ، فقدمت للرجال أطباق الأرز وعليها قطع اللحم ، وبعد أن أكلوا حتى شبعوا نقلت الأطباق إلى خيمة النساء فأكلن ، ثم نقل ما بقى بها لرعاة الجمال فالتهموا بشراهة حتى امتلأت بطونهم ، ثم جىء لنا وللكلاب بالبقايا الأخيرة

وقد كنت أنتظر وقت مجيئها بصبر نافد، لأن الجوع قد نال منى ، وكان ما ذقته منذ أسرت تافهاً يسيراً ولكن فى أثناء انتظارى تلك الفضلات جاءت إلى خادمة فى السر بطبق مملوء بالأرز وبقطعة كبيرة من اللحم وقالت : إن التى أرسلته هى زوجة الزعيم وأنها تعطف على وتأمرنى بأن أتشجع

وقضى الرجال النهار فى التدخين وفى سرد حوادثهم . وقضاه النساء فى الغناء على الطنبور . أما أنا وسيدى عثمان فقد كنا فى حالتنا هذه وقلب كل منا مفعم بالأحزان . لكن تشجيع زوجة الزعيم وإرسالها لى الطعام قد جعلا خيالى يسبح فى الأجواء وتسليت كثيراً عن مصابى . ولم تكن كذلك حالة رفيق الذى ضاق صدره وغلب عليه الهم ، وكنت أحاول مواساته بتلك الجملة التى تخفف عن كل المسلمين أحزانهم ، وهى « الله كريم ! » . فكان يقول : « الله كريم ! الله كريم ! ولكنك لم تفقد شيئاً وأنا فقدت كل شىء »

وفى اعتقادى أنه لم يحزن على شىء كما حزن على ضياع الكسب الذى كان ينتظره من شراء الجلود . وأنه كان يقطع وقته فى عد الأموال التى كان يقدر كسبها ولم يكسبها

على أننا افترقنا بعد وقت قليل فذهب عثمان إلى الجبل لرعى خمسين جملا، وهدده الزعيم بقطع أذنيه وأنفه إذا فقد واحداً منها ، وبأن يقطع من قوته ثمن الجمل الذى يموت . وإظهاراً لعطفى على عثمان أجلسته فى اليوم السابق على ذهابه أمام المعسكر وحلقت له . وقد رأى الجنود براعتى فاشتهر أمرى بينهم وأمرونى بأن أحلق لهم . وسرعان ما وصل الخبر إلى الزعيم فاستدعانى وأمرنى بأن أحلق له وبألا أضيع الوقت فأخذت أحلق بالموسى رأسه الكبيرة التى بها مائة التحام من آثار ضرب السيف

وكان هؤلاء التركمان يحلقون من قبل بنفس الآلة التى يقصون بها شعر أغنامهم ويحلق لهم أناس لا يحسنون هذه الصناعة . فأبدى الزعيم سروره. ولما وضع يده على رأسه ووجدها ناعمة ليس بها أى أثر للشعر مع أنه لم يحس بأى تعب أو ألم أقسم أنه لن يقبل فداء عنى مهما كانت قيمته ، وأكرمنى بأن جعلنى حلاقه الخاص . وإنى لأترك للقارىء الكريم تقدير شعورى فى هذه الحالة

سجدت تحت قدميه وقبلتهما علامة على الشكر لهذا الاحسان وصممت على أن أنتهز فرصة الحرية التى ستتاح لى بعد ذلك فأهرب فى أول فرصة . ولكثرة اجتماعى بالزعيم صارت لى منزلة عنده وكنت أدبر خطة فى نفسى لأتمكن من النجاة

## الفصل الرابع

انقاذه الأموال واصراره على حفظها

وكان من أهم أغراضى أن أحصل على عمامة سيدى عثمان وهى التى فيها أمواله وهى ملقاة فى جانب من جوانب خيمة السيدة . وكنت أريد الحصول عليها دون أن أثير أقل ريبة .

لما عرف فى المعسكر أننى حلاق وجد لى فيه أصدقاء، وكنت أعتقد أن العطف الذي وجدته من زوجة الزعيم سيزداد. ولكن مضت أيام طويلة لم تزد فيها تلك العلاقة على نظرة حنان منها ونظرة شكر منى.

ولكن الحلاقين في البلاد الفارسية كانوا يزاولون بعض الأعمال الطبية مثل خلع الأسنان

وجبر العظام والحجامة والكي ومعالجة الجراح، وقد وجدت زوجة الزعيم نفسها في حاجة إلى أن تحتجم فأرسلت إلى تسألني: هل لي معرفة بالحجامة؟ فأجبت على الفور بأنها من صناعتي التي أحسنها كل الاحسان. وقام بعض رجال القبيلة بأعمال فلكية ونصبوا الأصطرلاب وقرروا أن الوقت المناسب لها هو الصباح المقبل.

وفي تلك الساعة المباركة قدمت إلى خيمة السيدة فوجدتها هناك تنتظرني بصبر نافد. ولم تكن من السيدات اللواتي يزعجهن رؤية السلاح في يد ضعيف مثلي. وهي مفرطة في السمن كالنساء اللواتي يحبهن الأتراك على النقيض من أذواق الفارسيين فانهم لا يحبون من النساء غير الهيفاء الرشيقة، ولذلك لم يلائم جمالها ذوقي، وفضلا عن ذلك فانني أعيش تحت حكم الظالم «أصلان سلطان» ولو وصل إلى علمه أي شيء عني لما كان عقابي أقل من الموت.

ولقد كان التفاتها إليّ عظيماً، وكان خادماتها ينظرن إلى نظرتهن إلى الرجل الكبير النفوذ ويتملقنني، وقبل أن أباشر عمل الحجامة جسست نبضها فوجدته شديد الاضطراب، ودرت بلحظي في أرجاء الخيمة لأرى إناء يسكب فيه الدم المتخلف عن الحجامة فوجدت آنية ثمينة من البلور وطلبتها، ولكن زوجة الزعيم أبت وقالت إنها هي التي تشرب منها فاقترحت أن يؤتى بالعمامة التي كانت لسيدي السالف عثمان اغا

تفقدت السيدة تلك العمامة فلم تجدها وقالت لها الزوجة الأخرى إنها أخذتها وإنها أصبحت لها، وقام خلاف بين الزوجتين خشيت أن يصل إلى مسمع الزعيم فيدق عظام الزوجتين

ولكن المنجم تدخل في الأمر فقال للزوجة الثانية أنه لا ينبغي أن يساء إلى من ستحتجم وإلا كان ذلك مؤذياً لها وستكون عليها تبعة ذلك. فجاءت بتلك العمامة

ولما وضعت الموسى على ذراعها ورأت نظرات القلق في العيون المتطلعة إليها بدا عليها الخوف وخفت أنا أيضاً ألا أستطيع أخذ العمامة لهذا السبب، فقلت إن رفضها لا يفيد، لأن الحجامة ضرورية لها. واستشهدت بالمنجم واتفق الكل على تمضيد رأيي فتجلدت وتحملت وخزة الموسى. وقلت: إنه يجب أن يترك الدم الذي سكب منها فلا يقربه أحد غيري ويجب إخراجه من الخيمة ووضعه في مكان غير معرض للشمس لأن هذا ضروري لصحتها

فسمح لي بأخذ العمامة وفيها الدم وانتظرت إلى الليل ثم فتقت القماش وأخرجت ما فيه من المال وهو خمسون قطعة ذهبية وأخفيتها ثم أخفيت العمامة أيضاً.

وفي الصباح أخبرت السيدة بانني فعلت ما تقضي به أصول الصناعة فدفنت الدم بإنائه حتى لا يصيبها في المستقبل حادث مكروه، فأظهرت الاقتناع بهذا القول وكافأتني بطبق من اللحم طبخته بيدها وبآخر من الأرز

ولما صار في يدي المال تذكرت صاحبي الأول الذي قدر عليه أن يقضي حياته في شقاء وليس يشغل فكره غير عد الأموال التي فقدها والتي كان ينتظر أن يكسبها فلم يوفق إلى ذلك، وذكرت إكرامه لي فصممت على أن أحفظ له ماله. ولكنني بعد ذلك أخذت أناقش هذا الرأي فلت إلى العدول عنه وقلت في نفسي: «لولا حيلتي التي توصلت إليها بذكائي لما أمكن الوصول إلى هذا المال، وفضلا عن ذلك فان سيدي عثمان لن يستفيد من هذا المال وهو في عمله الجديد من رعي الابل في الجبل؛ وقد كان من المقدر عليه أن يفقد هذا المال ومن المقسوم لي أن أناله. واعتبرت نفسي مالكا شرعياً لهذا المبلغ الذي لا أرى أي قانون يقضي على برده. ولكن نفسي حدثتني في الوقت نفسه بأن أرسل إليه نصف الذي أرسل

إليَّ من اللحم بواسطة الطفل الذي يساعده والذي كان يذهب كل يوم إلى المرعى والذي وعدني بألا يأكل شيئاً منه، وقد كنت أشك في صدق هذا الوعد . ولكن لم يكن في وسعي أن أركن إلى غيره وكان من العبث أن أحاول غير ذلك

## الفصل الخامس

حاجى بابا يصير لصاً

مضى عليَّ أكثر من عام وأنا في أسر التركمان فاكتسبت ثقة لا حدَّ لها من الزعيم وصار يستشيرني في كل أعماله الخاصة وفي الأعمال التي تتعلق بقبيلته؛ ورأى أنه يمكن الاعتماد عليَّ في كل شيء فعول على استصحابي في غزواته إلى بلاد الفرس، وهذه الثقة تهيئ لي الفرصة للفرار . ولكنه إلى ذلك الوقت لم يكن يسمح لي بالذهاب وحدي إلى ما بعد المراعي. وكنت أجهل الطرق المقفرة الصخرية الواقعة بيننا وبين فارس فرأيت أن محاولة الفرار عبث لا يفيد. وقد حاول بعض الأسرى أن يفروا فهلك فريق منهم في الصحراء واضطر الفريق الآخر إلى العودة إلى سادتهم الذين زادوا في الاساءة إليهم، فقلت في نفسي إنه لا داعي إلى التعجيل بالفرار. ويجب أن أجعل همي مقصوراً في هذه الغزوة على دراسة الطريق، فاذا لم أتمكن من الهرب عند وصولنا إلى فارس فانني أكون قد عرفت الطريق إليها وأهرب في أي وقت أشاء

ومن عادة التركمان أن يجعلوا غزواتهم في فصل الربيع لأنه يكون لديهم إذ ذاك غذاء وافر للماشية ويكونون واثقين من مقابلة قوافل في الطريق. وكان ذلك الموعد قريباً فجمع أصلان سلطان شيوخ القبائل ورؤساء المائة ورؤساء العشرة والمهرة من اللصوص وأخذوا يدبرون الخطة لغزو البلاد الفارسية . وقد اجتمعت كلمتهم على غزو مدينة أصفهان في الليل وهذه المدينة شهيرة بغنى تجارها.

وكان دليلنا في هذه الرحلة هو الزعيم نفسه، لأن خبرته بالطريق أعظم من خبرة أي رجل سواه. وقد اعتمدوا عليَّ في إرشادهم في طريق المدينة ولكن البعض منهم اعترضوا على ذلك وقالوا إنه لا يصح الاعتماد على رجل فضلا عن أنه أسير فهو من أهل البلاد المراد غزوها وليس يهمه شيء كما يهمه الفرار وبعد مناقشة شديدة تقرر أن أقودهم في أصفهان على شرط أن يركب فارسان بجنبي أحدهما عن يميني والآخر عن يساري، فاذا رأيا مني ما يريبهما قتلاني في الحال.

ولما تم الاتفاق على ذلك أعد التركمان خيولهم وألبسوني ثوباً من ثيابهم المصنوعة من جلد المعز ووضعوا على رأسي عمامة من فرو الغنم وأعطوني رمحاً طويلا وربطوا في جوادي كيساً من القمح والخبز والبيض . وكنت في مدة الأسر قد تعودت الصبر على الجوع والنوم على الأرض فصرت مثل سائر رفاقي الذين لا يعدلهم أحد في الصبر وتحمل المشقات

وحرصت على إخفاء ما معي من المال وقلت لسيدي القديم إنه إذا أمكنني فدتؤه أو حمل الزعيم على فك أسره فانني سأفعل ذلك في الفرصة الأولى .

فقال لي إنه لا يفكر فيه أحد، ولا يقبل أن يفتديه أحد، فابنه سعيد بان نال ممتلكاته، وزوجته لا بد أن تكون تزوجت من رجل آخر وإنه لم يبق بنفسه أمل، ولكنه يرجوني رجاء واحداً هو أن أسأل له عن أسعار الجلود في الآستانة

وهنا قام بيني وبين ضميري نزاع جدي بشأن ما معي من المال فقلت إن حفظه معي خير له وليس له أي أمل، في النجاة بغير وساطتي، وإذا فررت ومعي مال خير من فراري معدماً

وحدد المنجم ساعة سفرنا وكانت بالليل فركبنا، وكان عدد الضباط عشرين بما فيهم أنا والزعيم أصلان، وكنا جميعاً نركب جياداً مطهمة من خير جياد القارة الأسيوية . وكانت الليلة مقمرة ونحن

مسلحون بالسلاح الكامل، وقد كنت أشعر بأني لم أخلق لأكون محارباً وإن كان فى مقدورى أن أتصنع حالة المحاربين من البسالة حتى يظن أصحابى أنى لست أقل شجاعة من رستم وهو أشجع بطل فى تاريخ فارس. ولكننى كنت بينى وبين نفسى أجزع من حلول يوم التجربة الذى تتضح فيه حقيقتى.

ولما سرنا فى الصحراء مدة اختلفت طبيعة الأرض ووجدنا تلالاً تسلقناها، وهنا ظهرت معرفة أصلان بالطريق، فقد كان مثله فى البر كمثل الربان فى البحر له فى معرفة الطرق ماليس يسهل على غيره علمه

وكنا نسير بالليل ونستريح بالنهار حتى قطعنا أربعمائة وعشرين ميلا فوجدنا أنفسنا على أبواب أصفهان وصار الأمر متوقفاً على أكثر من أى إنسان، لأنه لم يكن فيهم حتى ولا الزعيم نفسه من يعرف طرق المدينة كما أعرفها، وكانوا يريدون دخولها من شارع كبير فيها ليس عليه باب وفى هذا الشارع خان الشاه وهو محط رحال التجار ويستحيل أن يخلو من أموال كثيرة ومتاجر؛ وكان فى نيتنا ألاّ نحدث هياجاً ولا نحيجاً متى استطعنا إلى ذلك سبيلاً بل نأخذ ما تصل أيدينا إليه والناس نائمون ونعود قبل أن يستيقظوا إلى معسكرنا

هكذا كانت خطتهم. ولكننى وجدتها منطوية على كثير من الأخطار، والأمل فى نجاحها قليل فنهيتهم عنها، فنظر إلىّ الزعيم نظرة ملؤها العزم وقال: « افتح عينيك ياحاجى بابا فاننا لسنا أطفالاً وليس أمرنا لعباً. إننى أقسم إذا لم تسلك معنا مسلكاً حسناً بأن أحرقك حياً »

ثم أمرنى بأن أسير بجوادى بالقرب منه وأمر وغداً آخر بأن يسير بجانبى الآخر. ثم تقدمنا نحن الثلاثة سائر الحملة فدخلنا فى الجزء غير المأهول من المدينة، فوجدنا المنازل الخربة ودخلنا فربطنا جيادنا ومشينا على أقدامنا دون أن نحدث هرجاً حتى وصلنا إلى الخان وقد كنت أعرفه وأعرف كل جزء فيه لمجاورته حانوت أبى، فأشرت إلى أصحابى بالوقوف وناديت البواب باسمه بأن يفتح الباب وكان اسم هذا البواب على محمد

فتح البواب وهو بين النوم واليقظة وقال لما رأى كثرتنا: ما هذا الموكب؟ ما هذا الموكب؟

فقلت: « نحن آتون من بغداد »

قال البواب: « بغداد! هل تريد أن تسخر منى؟ »

فقلت: « لقد جئنا من بغداد بالأمس » ثم لما رأيته مرتاباً قلت « أنا حاجى بابا ابن الحاج حسن الحلاق وقد ذهبت مع عثمان أغا كما تعلم إلى بغداد وعدت متزوداً بالأخبار »

قال: « هل أنت حاجى بابا الذى كان يحلق لى؟ مرحباً بك، لقد ظل مكانك خالياً مدة طويلة »

ثم أوقد شمعة فرأينا حجرة فسيحة بها أمتعة التجار. ولما رأى أصحابى ذلك عزموا على اختطاف بعض أغنياء التجار لأن أحدهم يستطيع أن يفتدى نفسه بأكثر مما نستطيع نحن حمله من المتاجر ولأن اختطافنا إياه لا يكلفنا من المشقات والأخطار ما يكلفنا نقل هذه المتاجر

وقبل أن نحدث ضجة فى المكان اختطف زملائى ثلاثة من التجار المتحفين بالطيالس الحريرية المتوسدين السجاجيد الفارسية وأردفوهم على ظهور الخيل. وفى ذلك الوقت دخلت الغرفة التى كنت أعرف أن صاحب الخان يحفظ فيها أموال الضيوف فاقتلعت الصندوق وجريت، وكان ذلك الصندوق مفتوحاً وبه عدد من الأكياس المتفاوتة الأحجام فخبأت فى ثيابى أكبر كيس منها، ولم نكد نخرج من الخان حتى استيقظ جميع من فيه وهاجوا، وكان البواب إذ ذاك مكتوف اليدين غائب الرشد من الخوف، ولم نكد نصل إلى مربط خيولنا حتى كانت المدينة قد هاجت كذلك وخرج الشجعان من رجالها يبحثون عنا.

« يتبع » عبد اللطيف النشار

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتدولى – عابدين ﴾